بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللُّغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الصورة الفنية في شعر أبو الشيص الخزاعي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنَّقد

إعداد الطالبة

عايدة حسن محمد بشير

إشراف الدكتور

عباس محجوب محمود

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

مُقَدِّمَة

سبب اختيار الموضوع:

الشعر هو الذي يعكس حياة العرب وعاداتهم وتقاليدهم وصفاتهم، وهو المرآة التي تعكس حياتهم سواء كانت اجتماعية أم سياسية أم فكرية، وعند دراستي وإطلاعي للشعر العربي شدَّ انتباهي العصر العباسي لأنه نضوج في الفكر وتجديد في الشعر، فأنفقت الجهد غير القليل في مطالعة الدواوين فاستوقفني عدد من الشعراء منهم المتنبئ، وأبو تمام، والبحتري، وأبو الشيص، فوجدت في الأخير مجالاً رحباً للبحث والدراسة. فأبو الشيص شاعر أغفل الأقدمون ذكره فلم يذكروا من حياته إلاَّ شذرات نجدها مبثوثة هنا وهناك في مصادر الأدب يكرر بعضها بعضاً، فكان نتيجة ذلك أن جهلنا حياته ولَمْ نكد نعرف منها إلاَّ تلك الشذرات مِمَّا ألقى على حياته غباراً كثيفاً عفا على كثير من معالمها.

كل ما تقدم دفعني لدراسة شخصية أبو الشيص وسبر غورها. فالموضوع في جملته روض أنف لَمْ تطأها قدمٌ البتة داخل بلادنا. وفوق هذا أن أكثر أهل الأدب يجهلون الكثير عن شخصية أبو الشيص وحتَّى الذين يعرفونه لا تعدو غير كونها معرفة سطحية عابرة من خلال الشواهد اللغوية المأخوذة من شعره في كتب اللُّغة.

مشاكل البحث:

ولقد واجهت عدة صعوبات منها شروح القصائد ولو أن قصائد الديوان كانت مؤرخة أو مشروحة لَما واجهتُ عناءً ولكن وجدتُ القليل من الشروح في المصادر. واعتمدت في دراستي لشعر أبو الشيص على النسخة التي حققها عبد الله الجبوري (ديوان أبو الشيص).

خطة البحث:

نهض البحث بدراسة صور أبو الشيص الفنية. ولَمَّا كانت جوانب كثيرة من حياته غير معروفة، جعلنا الشعر نبراساً يضيء حوالكها. ومع ذلك فما يزال بعضها غامضاً نوعاً ما.

اشتملت الدراسة على أربعة فصول. الفصل الأول قسمته إلى مبحثين المبحث الأول عصر الشاعر (سياسياً، واجتماعياً، وفكرياً)، أمَّا المبحث الثاني تحدثت فيه عن حياة الشاعر اسمه ونسبه، كنيته، لقبه، ميلاده ونشأته، أسرته، قبيلته، ثقافته، إنتاجه الأدبي، وفاته. ورجحت ما ذهب إليه بعض الباحثين في تحديد وفاته عام ألفين للهجرة عام مائة وست وتسعين للهجرة.

أمَّا الفصل الثاني تحدثت فيه عن عناصر تشكيل الصورة الفنية في شعره وتناولت بالتمهيد مفهوم الصورة عند أبو الشيص ثم تناولت آراء بعض النقاد، المبحث الأول عن التشبيه وأثره في تشكيل الصورة، وفي المبحث الثاني الاستعارة وأثرها في تشكيل الصورة، وتناولت في المبحث الثالث الكناية وأثرها في تشكيل الصورة، ثم خصصت المبحث الرابع للألفاظ والأساليب.

أمَّا الفصل الثالث فقد تضمن مبحثين تناولت أغراضه الشعرية في المبحث الأول من وصف، وغزل، ومديح، ثم تناولت الأغراض الأخرى التي لَمْ يكثر شاعرنا من معالجتها في المبحث الثاني متمثلة في الرثاء والهجاء، بكاء في المشيب وبكاء في الشباب، الحكمة، العتاب، فقد البصر، الفخر.

أمَّا الفصل الرابع تحدثت فيه عن الموسيقى الشعرية فقسمت عناصر الموسيقى في شعره إلى قسمين الموسيقى الخارجية (أوزان وقوافي) والموسيقى الداخلية، وفي المبحث الثالث تناولت مكانته الشعرية ومدى تأثيره وتأثره.

ثم ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها ملخصاً للبحث وأتبعتها بعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لشعر أبو الشيص الخزاعي، ثم تلتها قائمة لفهرس المصادر والمراجع، وفهرس عام للموضوعات.

منهج البحث:

استعنت في بحثي هذا بالمنهج التاريخي عند الحديث عن عصر الشاعر وحياته، والمنهج التحليلي في شرح أبيات الديوان، والمنهج الاستنباطي عند التوصل إلى الآراء النقدية والفنية، والمنهج المقارن عند مقارنة الشاعر مع غيره من الشعراء.

ومهما تكن قيمة هذه الدراسة فهي تسهم بشكل أو بآخر في الكشف عن شاعر أغفل الأقدمون والمحدثون ذكره، ففيها فتح جديد للباب لدراسة شعراء آخرين مثل أبو الشيص لَمْ ينصفهم الأقدمون فخمل ذكرهم ولاسيما في العصر العباسي وعليه فالدراسة اهتمت بالناحية الفنية في شعره وهي تساهم بالكشف عن معالم التصوير البلاغية التي نظم فيها الشاعر.

تلك هي الدوافع والأهداف التي دفعت بي إلى تناول هذا الموضوع آملة أن أضيف شيئاً للمكتبة العربية، ولا أدَّعي إنني قد أوفيت الشاعر حقه. فهذا جهد أرجو أن يكون خالصاً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

عصر أبو الشيص وحياته

المبحـــث الأول

عـصـر الشـاعـر

المبحث الثاني

حياة الشـاعـر

المبحث الأول
عصر الشاعر

أولاً- الحالة السياسية:

ضعف حكم الأمويين في آخر عهدهم، لانشغالهم بملذاتهم عن أمور الرعية ونشبت ضدهم ثورات كثيرة أراد بها أصحابها الإصلاح وإنهاء سلطان الأمويين، واستيلاء العباسيين على الحكم في سنة ١٣٢هـ.

قام العباس عبد الله بن محمد بتنظيم الدولة العباسية واتخذ الكوفة مركزاً ومستقراً للدولة. فقام بشؤون الرعية أبو سلمى الحلال[١].

وتولى أبو مسلم الخراساني قيادة الدعوة وكان من دهاة الرجال وأكفئهم في النهوض بجلائل الأعمال ووجد تأييداً ومناصرة من الجرمانية والراوندية[٢]. بعد أن تولى العباسيون الخلافة أرسل أبو العباس جيشاً بقيادة عبد الله بن علي لمحاربة الخليفة الأموي مروان بن الحكم، فالتقى به على نهر الذاب شمالي العراق وهزمه هو وجيشه هزيمة ساحقة[٣]. وبعد ذلك مضى العباسيون يفتكون بأفراد البيت الأموي فتكاً ذريعاً حتى استأصلوهم استئصالاً[٤]. اتخذ أبو العباس السفاح الهاشمية مقراً للدولة الجديدة ولكن عندما آل الأمر إلى أبي جعفر المنصور نقل حاضرة الخلافة إلى بغداد. وكان مِمَّا دفعه إلى ذلك ثورة الراوندية عليه في

١/ تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج٩، ط١، المطبعة الحسنية، مصر، طبع مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٨-١٩٣٩م، ص١٢٨.

٢/ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر: عبد الرحمن بن خلدون المغربي، ج٣، منشورات دار الكتاب اللبناني، ص٣٧٣.

٣/ الطبري: ج٦، ص١٠٤.

٤/ المرجع السابق: ص٩٧.

الهاشمية. وأعجبته بقعة بغداد لحسن موقعها وأطلق عليها اسم دار السلام[1].

وبدأ أبو جعفر المنصور في بناء بغداد بعدما استشار في أمرها ذوي الرأي وجلب لها كثيراً من مواد البناء التي كانت لا تزال قائمة في المدائن، وما لبثت بغداد أن أصبحت أهم مدينة في العالم العربي وبُنيت بها مئات المساجد وعشرات القصور الفخمة، وقد كلفته أموالاً طائلة وأصبحت في العصر العباسي الأول مركزاً للحياة العقلية والتجارية خاصة بعد عهد المنصور حيث بلغت أوج عظمتها[2].

لَمَّا كان للفُرس من دور عظيم في نصرة العباسيين قـرَّبهم العباسيون وجعلوا منهم القادة والوزراء والكُتَّاب فاتسم نظام الدولة بطابع فارس خاصة بعد أن حولت العاصمة إلى بغداد أقرب الأمصار إليهم. وأبرز هذه السمات توريث الحكم، فهم يروا أنهم أولى من غيرهم بالخلافة لأنهم حماة الدين وورثته بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

وكثير منهم استبدادي أشد ما يكون الاستبداد. حُكم لا يُحسب فيه أي حساب للرعية. فهي أدوات مسخرة للحاكم وليس لها من الأمر أي شيء يولي الولاة والقضاة والوزراء والقواد ويعزلهم جميعاً حسب مشيئته وهواه. وكان يختار الوالي غالباً من أهل بيته أو من أكفاء حاشيته. وكذلك كان يختار قواده. واتسع الخلفاء في محاكاة الدواوين الساسانية وكان في كل ولاية ديوان للخراج يقوم عليه موظف كبير ينفق منه على الولاية ويرسل ما تبقى من الأموال إلى بغداد

١/ تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١، ص١٣٠.

٢/ المرجع السابق: ص٢٣٨.

٣/ رسائل الجاحظ: أبو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ج٢، ص٣٠.

ويسمى مجموع هذه الدواوين باسم بيت المال. وقد ولي عليه السفاح خالد بن برمك كما ولاه على ديوان الجند[1].

وديوان دار الخلافة ديوان خاص يقوم على نفقاتها وأهم الدواوين ديـــوان الرسائل الذي لعب دوراً عظيماً في نهضة النثر العربي، وكانت تصدر عنه رسائل الخلفاء وأيضاً ديوان الخاتم الذي تُختم فيه تلك الرسائل بعد مراجعتها، وديـــوان التوقيع وهو خاص بالنظر في المظالم وكان من عادة ملوك الفرس أن يوقعوا عليها بعبارات موجزة[2].

وكان أيضاً نظام الوزارة والمستشار الأول للخليفة تطلق عليه كلمة وزير في إدارة شئون دولته والوزارة لَمْ تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلاَّ في دولة بني العباس بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشـــية[3]. وأول مـــن اتخـــذه العباسيون وزيراً منهم أبو سلمى الحلاَّل[4]. ونجد الخليفة الرشيد قد ألقى بمقاليد الحكم إلى يحيى بن خالد البرمكي الذي ولى أولاده أمر الدولة وولاياتهـــا إلى أن نكَّبه الرشيد نكبتهم المشهورة بعد سلطة دامت لهم سبعة عشر عاماً[5].

نجد السمة الفارسية في الهيئة التي يدخل بها الناس على الخليفة حيث أصبح لأهل كل طبقة زي يعرفون به فمنهم من يلبس العمم ومنهم من يلبس الدراعة (جبة فارسية) وكان الشعراء يلبسون كل ثوب مشهور فللقضاة زي وللشـــرط

١/ كتاب الوزراء والكتاب: لأبي عبد الله محمد بن عيدوس الجهشياري ، حققـــه مصـــطفى السقا، طبعة الحلبي، ص٨٩.

٢/ تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٣٣٦.

٣/ كتاب الوزراء والكتاب: ص١٩٠.

٤/ المرجع السابق: ص١٧٧.

٥/ المرجع السابق: ١٩٠.

زي وللكُـــتَّاب زي[1].

الثورات المضادة للعباسيين:

ظل العباسيون طوال دعوهم السرية يدعون للرضا من آل البيت لكي لا يصطدموا بأبناء عمهم العلويين. ولَمْ يكد العباسيون يستولون على مقاليد الخلافة حتى أخذ العلويون يشيعون في الناس إنهم اغتصبوها منهم فهم ورثتها الحقيقيون[2].

وأول من خرج منهم على المنصور عبد الله بن علي فبعث لمحاربته أبا مسلم الخراساني فهزمه وقتله.

غدر المنصور بأبي مسلم الخراساني وقتله بما أثار عليه سخط الراوندية أنصار أبي مسلم فتصدى لهم خادم بني خزيمة فقتلهم جميعاً[3].

من أخطر الثورات التي هددت المنصور ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب ﷺ بالمدينة المنورة حيث التف حوله جمعٌ غفير من الناس وطلب منه المنصور الخروج فرفض فحورب وقُتل[4].

خرج على الخليفة المهدي رجل من أتباع أبي مسلم الخراساني سنة ١٦١هـ واتخذ لوجهه قناعاً من ذهب حتى لا يُرى ولذلك اشتهر باسم المقنع

١/ البيان والتبيين: لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف والنشر، مطبعة الحلبي، ط٣، ١٩٦٨م، ج٣، ص١١٤.

٢/ الطبري: ج٦، ص٨٢.

٣/ مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي، طبعة جريدة دار الأندلس للطباعة، ج٣، ص٢٢٨.

٤/ تاريخ الأمم والملوك: للطبري، ص٢١٠.

الخراساني ولكن تغلبت عليه قوة الخليفة[1].

في عهد الرشيد بلغت الدولة أزهى عصورها حيث عم الترف والبذخ وكثرت الهجرات داخل وخارج بغداد وساد العدل والإحسان وامتازت أيامه بالبهاء والجمال لذا سُمِّيت بأيام العروس[2].

ولَمْ تخلُ أيامه من الفتن والثورات فقد خرج عليه يحيى بن عبد الله بن حسن في سنة ١٧٦هـ فندب إليه الرشيد من أقنعه بالخضوع، كما هاجت الفتنة العصبية في الشام بين النذارية واليمنية وأصلح بينهم الوالي، ومن الثورات التي أثارت قلق الرشيد وغضبه نقض نقفور ملك الروم للعهد الذي بينه وبين الخليفة المهدي فهدده الرشيد ثم سار إليه إلى أن دخل بلاده فغنم وخرَّب فاضطر نقفور إلى الصلح[3].

ثانياً- الحالة الاجتماعية:

ازدهرت الدولة الإسلامية في زمن العباسيين ثم بلغت ذروة مجدها وحضارتها فعم الأمن واتسع الرزق حتى فاض عن الحاجة فأصبحوا يقلدون الفُرس في استجادة المطعم والملبس والمبنى. وكانت خزائن الدولة هي المعين الغَدِق الذي هيأ لكل هذا الترف فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض والخليفة المنصور حينما توفي خلَّف أربعة عشر مليوناً من الدنانير وستمائة مليون من الدراهم[4]. وكانت هذه الأموال حكراً على الخلفاء والوزراء والقوَّاد والولاة والشعراء والمغنين. والخليفة المنصور فرض لكل شخص من أهل

١/ النجوم الزاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأنباكي، طبعة دار الكتب المصرية، د.ت، ج٢، ص٤٢.

٢/ المرجع السابق: ج٤، ص٢٢٤.

٣/ تاريخ الأمم والملوك: ج١٠، ص٦٠.

٤/ مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٣، ص٢٣٢.

بيته ألف ألف درهم في كل عام[١].

ولَمْ يقتصر تملك المال على الرجال فقط بل تصرفت فيه نساؤهم فنجد زبيدة بنت جعفر المنصور أنفقت أموالاً كثيرة في الصدقات وإنشاء المصانع والدور وعلى لبسها من جواهر وحرير[٢].

وبناء المنصور لمدينة بغداد أكبر دليل على الثراء الذي حازته هذه الدولة وخير ما يمثل لنا قمة الرفاهية والترف ما أنفقه الخليفة من أموال في عرسه ببوران وما وزعه على الحضور من ضياع وأموال[٣].

ولا ريب في أن هذا كله كان على حساب العامة المحرومة التي كانت تحيا حياة بؤس تقوم على شظف العيش لينعم الخلفاء والوزراء والولاة وكبار رجال الدولة[٤].

ومن أهم الجوانب التي يتضح فيها بذخ الطبقة المترفة مطاعمها ومشاربها فقد طعموا وشربوا في أواني الذهب والفضة وتفنن لهم الطهاة في ألوان الطعام والشراب[٥].

الجواري والغناء:

كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة بسبب من كانوا يؤسرون في الحرب. وانتشرت تجارته وعظمت هذه التجارة حتى كان في بغداد شارع خاص

١/ الطبري: ج٦، ص٣٢٧.

٢/ مروج الذهب: ج٤، ص٢٢٥.

٣/ تاريخ ابن خلدون: ج٣، ص١٤٤.

٤/ مقدمة ابن خلدون: ص١٢٣.

٥/ العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ط ٤٢٠٤٠، مطبعة دار المعارف، مصر، ص٥٧.

بها يسمى شارع الرقيق[1].

كان رقيق النساء من الجواري أكثر عدداً من رقيق الرجال وكان الرجال يفضلون الجواري من الحرائر لأنهن كن من أجناس مختلفة فمنهن السنديات والفارسيات والحبشيات والروميات وكانوا يمتلكوهن النخاسة، وكانت هؤلاء الجواري ذات ثقافات مختلفة فتركت آثاراً واضحة في حياة المجتمع، وكانت لهن مكانة عند الخلفاء العباسيين خاصة هارون الرشيد فأصبح معظم أولاده منهن، فكانت لهن يد طولى في التدخل في شئون الحكم وإثارة الفتن بين الأبناء كما حدث بين الأمين والمأمون[2]. وكانت قصور الأمراء والوزراء تمتلئ بهن فامتلكت عتابة زوج يحيى بن خالد البرمكي مائة وصيفة لباس كل واحدة منهن وحليها خلاف الأخرى[3].

في الدولة العباسية كثر الغناء والمغنون فقد شغلوا به أي شغل وعندما طل عصر المهدي أصبحت بغداد داراً كبيرة للغناء فقد جذبت إليها المغنين والمغنيات من كل فج ونثرت الأموال عليهم نثراً. وأول من نثرها من الخلفاء المهدي والهادي والرشيد فجعل المغنين مراتب وطبقات[4].

ومن مشهوري الغناء إبراهيم الموصلي وفليح بن أبي العوجاء وزلزال منصور وغيرهم، وكانت لهم آلات موسيقية كالمعازف والطنابير[5]. ومن المغنين الذين نالوا إعجاب الخلفاء إبراهيم الموصلي الذي كان ملازماً لمجلس الخليفة

١/ المسعودي: ج٣، ص٣١٦.

٢/ تاريخ الأمم والملوك: ج١٠، ص١٢١.

٣/ الوزراء والكتاب: للجهشياري، ص٢٤١.

٤/ العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص٦٠.

٥/ عصر المأمون: أحمد فريد رفاعي، ط٣، مطبعة دار الكتب المصرية، ج١، ص٧٩.

الرشيد[1].

كذلك من مغنيي الدولة العباسية فليح بن أبي العوجاء الذي ورد دمشق على إبراهيم بن المهدي فأخذت عنه جواريه وانتشرت أغانيه حتى قال عنه جعفر ابن يحيى "ورد علينا ابن أبي العوجاء فأفسد علينا بأهازيجه وخفيفه كل غناء سمعناه قبله"[2].

وأنبه المغنين في هذا العصر إسحق الموصلي وقد تلقن الغناء عن إبراهيم أبيه والضرب على العود عن زلزل[3].

لكن أدى اختلاط الرجال بالقيان في مجالس الغناء إلى الفحش والفجور وذلك لتأثير القيان على الرجال بمكالمتهن ورقة حديثهن، فقد تعلمن كيف يستملن قلوبهم ويكسبن ودهم، وقد كان حبهن كاذب ليس فيه وفاء فالقينة تغازل هذا وترسل أبيات شعر لآخر، لَمْ تسلم القينة من الفتنة لنشأتها في جو من اللهو واللعب بعيدة عن كل ما يصونها من حسن وأدب وشرف وتربية[4].

المجون:

هو المجاهرة بفعل الأعمال التي تخالف الدين والعرف في غير تستر أو استحياء كشرب الخمر الذي أصبح مباح في الدولة العباسية بالرغم من تحريمها في

١/ الأغاني: لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ علي مهنا، ط١، طبعة جديدة منقحة، دار الكتب المصرية، ج٥، ص٧.

٢/ المرجع السابق: ج٤، ص٣٦٥.

٣/ الأغاني: ج٥، ص٣٠٥.

٤/ رسائل الجاحظ: ج٢، ص١٦٠.

الإسلام ومِمَّا أدى إلى ذلك تحليل بعض فقهاء العراق لشرب النبيذ[1]. فشـــرب الخلفاء هذه الأنبذة وشربها الناس إمعاناً في المجون[2]. ولكن هذا لَمْ يكن في أوائل عهدهم، فالمنصور لَمْ يُرَ في داره لهوٌ قط ولَمْ يشرب أو يُشرب علـــى مائدتـــه شراب[3].

أمَّا الخليفة الهادي فقد جاهر بشرب الخمر، فكان يشرب حـــتى يســـكر ويطرب للشعر كما كانت له مجالس للغناء[4]. وتبعه الرشيد ومن جاءوا بعـــده وكانت له ملهاة أخرى كلعب الصولجان والكرة والشطرنج وغيرها[5].

أمَّا الأمين فقد تبع هواه وجلب الخصيان وأتباعه وبدد فيه ما في بيـــوت الأموال وبنى القصور والمنتزهات للهو كما تمتع باللهو الوزراء فكان لجعفر بـــن يحيى البرمكي مجلس شرب مهيأ له كل يوم مع نُدمائه، كان على رأس هـــؤلاء المجان الشاعر أبو نواس وكان ظريفاً محبوباً عند عامة النـــاس اتصـــل بـــالوزراء والأشراف فجالسهم ولكنه لا يُحب مجالسة الخلفاء لتقييد حريته معهم[6]. بنى له الخليفة الأمين مجلساً للشرب لَمْ تر العين مثله وجعل له يوم للهو فيه[7].

وقد تفنن الشعراء في وصف نشوة الخمر وآثارهـــا في الجســـد والعقـــل ووصف دنانها وكؤوسها ومجالسها وندمانها وسقاتها وكانوا عادة من النصـــارى

١/ العقد الفريد: لشهاب الدين أحمد المعروف بعبد ربه الأندلسي، مطبعة المكتبـــة التجاريـــة الكبرى بمصر، ١٣٥٣هـــ-١٩٣٥م، ج٣، ص٣٤٤.

٢/ تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٤٣٠.

٣/ المرجع السابق: ج٩، ص٣٩٤.

٤/ المرجع السابق: ص٣٩.

٥/ مروج الذهب: ج٤، ص٢٢٤.

٦/ تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٣.

٧/ الوزراء والكتاب: ص٢١٢.

والمجوس واليهود وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر كمـــا يزينـــون قاعـــة الشراب بالرياحين، وفي ذلك يقول أبو نواس في خمريته[1]:

وَدارِ نَدامى عَطَّلوها وَأَدلَجوا ** بها أَثَرٌ مِنهُم جَديدٌ وَدارِسُ[2]

كان لبشار بن برد مجلسان وكان فاجراً أفسد خلق الفتيـــات والفتيـــان بالإغراءات بشعره الماجن إلى أن نهاه المهدي عن التشبب بالنساء[3].

معظم هؤلاء المجان من الشعراء كانوا يجاهرون بارتكاب المحارم من تـــرك الفرائض وشرب الخمريات والغزل وكل أنواع الشذوذ الجنسي[4].

اقترن شرب الخمر بالغناء والرقص إذ تحول المغنيون بـــدورهم في كـــرخ بغداد والبصرة والكوفة إلى حانات كبيرة للشرب والقنص ووصف الشعراء هذه الحانات كما تفننوا في وصف الخمر. مثل هذا الشعر دليل على انتشار المجـــون بذلك الوقت والمجاهرة له دون تصدٍ أو إنكار له من قبل الدولة كما كان لمثـــل هذا الشعر دور كبير في إغراء الشعراء للانخراط في مثل هذه المماليك[5].

الشعوبية والزندقة:

أصبح للموالي من فرس وغيرهم أهمية ومكانة رفيعة في المجتمع العباســـي. وذلك لاهتمام الخلفاء العباسيين بهم وتوليتهم مناصب الحكم فصار بيدهم الربط والحل ووجدوا حرية التصرف في أمور الدولة وفكروا في إعادة معتقداهم الدينية

١/ طبقات الشعراء: لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ص٢٠٦.

٢/ المرجع السابق: ص٢٠٦.

٣/ الأغاني: ج٦، ص٤٦.

٤/ طبقات الشعراء: لابن المعتز، ص٨٨.

٥/ المرجع السابق: ص٨٨.

وكانت الزندقة[١] منهم يشيرون بالإلحاد والاعتقاد في طوائف التسوية من مضوية وزرادتشية يعتقدون في تناسق الأرواح[٢].

كان للشعوبية دور خطير في ترويج فكرة الزندقة لأنَّ هدف الشعوبيين الحط من شأن المسلمين ودينهم وحياة البداوة والكرم وغيرها من العادات التي كان يعتز بها العربي. وإلى جانب هذا يثنون على الأعاجم وما لهم من علم وحكمة ومنطق[٣].

كان الشعوبيين طوائف مختلفة فمنهم رجال السياسة ومنهم قوميون ومنهم مُجَّان خلعاء وأشد من كل هؤلاء عنفاً وغيظاً من العرب الملاحدة الزنادقة الذين كانوا يبغضون الدين الحنيف وكل ما اتصل به من عربة وعروبة[٤].

وأهم شاعر في هذا العصر أوقد نيران الشعوبية وظل يمدها بحطب جزل من أشعاره بشار بن بُرد بدليل ذلك عندما سأله الخليفة المهدي من يعتز؟ قال: "أمَّا اللسان عربي، وأمَّا الأصل فعجمي"[٥].

فكرة الزندقة ظهرت منذ عهد المنصور بعد قتله لأبي مسلم الخراساني عندما ثارت عليه الراوندية والمقنع الكندي وغيره من الفرق التي كانت تدعو إلى تناسق الأرواح والألوهية[٦].

١/ ضحى الإسلام: أحمد أمين، ط٢، ١٣١٦هـ-١٩٤١م، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ج١، ص١٤٥.

٢/ الملل والنحل: محمد عبد الكريم الشهرستاني، ط١، مطبعة الأزهر، ج٢، ص٦١٩.

٣/ البيان والتبيين: ج٣، ص١٢.

٤/ الحيوان: ج٧، ص٢٢٠.

٥/ الأغاني: ج٣، ص١٣٨.

٦/ تاريخ ابن خلدون: ص١٣٨.

كان وجود مثل هؤلاء الزنادقة وسط المسلمين يمثل خطراً على الإسلام فهم يدسون معتقداتهم الدينية فيه ويخصون بها ذوي العقول الضعيفة كما حدث من أبي العوجاء عندما أحضره المنصور للقتل قال: "لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة"[1].

ومن المشهورين بالزندقة: حماد الراوية، وحماد عجرد، وحماد بن الزبرقان وبشار بن برد، ويوسف بن أبي فروة الذي ألَّف كتاب (**في مثالب العرب وعيوب الإسلام**)[2].

جدَّ الخلفاء العباسيون في ملاحقة هؤلاء الزنادقة منذ عهد الخليفة المنصور، فاجتهد الخليفة المهدي من بعده في طلبهم وقتلهم ووكل لهذا الأمر عمر الكلوازني وقتل في عهده عدد كبير منهم[3]. كان الخليفة المهدي لا يقتل الواحد منهم إلاَّ بعد التأكد منه والإقرار بزندقته، أوصى الخليفة ابنه الهادي من بعده لمحاربة هذه العصبة وعمل الهادي بوصية أبيه فتتبع آثارهم وقتل منهم خلقاً كثيراً[4].

كما نجد الخليفة المأمون قتل منهم عشرة بعد أن طلب منهم التوبة ورفضوا، هكذا قضى الخلفاء العباسيون على الزنادقة واتعظ من بعدهم من راودته فكرة الزندقة.

١/ الأمالي: للشريف المرتضى علي بن الحسين الموصلي العلوي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ج١، ص١٢٧.

٢/ المرجع السابق: ص١٤٦.

٣/ تاريخ الأمم والملوك: ص٨.

٤/ المرجع السابق: ص٤٢.

الزهد:

نتيجة لِما ساد المجتمع العباسي من فساد المجان والزنادقة ظهرت طائفة الزُّهَّاد، كان معظم الزهاد من الطبقة الفقيرة البائسة بل كان الكثير منهم يعيش في ضنك وضيق، هؤلاء صانوا نفوسهم من الوقوع في المهالك واحتقروا الدنيا وملذاتها وأكثروا من ذكر الموت والآخرة وبعدوا عن الحياة الاجتماعية الصاخبة باللجوء إلى الكهوف والصحاري[1].

من هؤلاء الزهاد إبراهيم بن أحمد البلخي الذين كان يعيش في نعمة وعز ومع هذا عاف الدنيا بغرض التقرب إلى الله[2].

ومنهم الزاهد المشهور سفيان بن عُيينة الذي كان شديد الثقة بالله وكان يقول: "لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله قد استجاب دعاء إبليس شر الخلق حيث قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[3]"[4].

كان الزهاد يفرون من بغداد لِما ساد فيها من ظلم وفساد ويرى الزاهد الحارث بن عبد الرحمن إن بغداد ضيقة على المتقين لا ينبغي لمؤمن أن يقيم بها.

ظهر ببغداد كثيرٌ من القُصاص والوُعاظ الذين يغلظون على الناس بالوعظ والحكم ليزهدوهم في الدنيا ومنهم من تجرأ لوعظ الخلفاء مثل عمر بن عبيد في

١/ تاريخ الأمم والملوك: ص٤٢.

٢/ البيان والتبيين: ج١، ص٢٦٠.

٣/ سورة الحجر: الآيتان (٣٦، ٣٧).

٤/ النجوم الزاهرة: ج٢، ص١٦٤.

وعظه المنصور[١] وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي[٢] وابن السماك في وعظه لهارون الرشيد[٣] ويغلظ عليه بوعظه، قال له يوماً: "يا أمير المؤمنين، إن لك بين يدي الله تعالى مقاماً وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك، إلى الجنة أم إلى النار"[٤]. فبكى الرشيد مِمَّا سمع منه.

عندما اشتد الفسوق والمجون من قبل أهل الكرخ ببغداد واشتدادهم للناس من قطع الطرق وأخذ الغلمان والنساء علانية، ولا رادع لهم من السلطان تطوع جماعة لرد هذا الفساد كان على رأس هؤلاء الجماعة خالد الدرويش وسهل بن سلامة من خراسان، كانوا يدعون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله تعالى وسنَّة نبيه ﷺ فأيدهم جمعٌ غفير من الناس وانتشرت دعوتهم في المساجد وفي الطرق وفي كل مكان[٥].

إن ظهور مثل هؤلاء الزهاد شيء طبيعي فكل مجتمع يسود فيه الفساد وتخرج منه مثل هذه الطائفة المصلحة.

نخلص مِمَّا تقدم إلى أن المجتمع العباسي كان يعيش حياة متناقضة.

ثالثاً- الحياة العقلية:

اتسعت الدولة العباسية بسبب الفتوحات ودخلتها أجناس ذات لغات مختلفة كاللغة الفهلوية، والآرامية، والسامية، والقبطية، وغيرها من اللغات فأخذ

١/ عيون الأخبار: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط٢، ١٣٤٦هـ، دار إحياء الكتب المصرية، ج٢، ص٣٣٧.

٢/ العقد الفريد: ج٣، ص١٥٨.

٣/ الطبري: ج٦، ص٥٣٨.

٤/ العقد الفريد: ج٣، ص١٦٤.

٥/ تاريخ الأمم والملوك: ج١٠، ص٢٤١.

أصحاب هذه اللغات يتعلمون اللُّغة العربية لارتباطها القوي بالإسلام ولضرورتها لهم في القرآن الكريم، فآمن بها عدد كبير من الناس، وأقبلوا على اعتناقها في حماسة وقوة. وبذلك تأثروا بها وأثروا فيها[1].

دخل اللُّغة العربية عدد كبير من الألفاظ الأعجمية مثل كلمة صابون، صيدلية، شطرنج وغيرها من الألفاظ[2].

لَمْ يقتصر التدخل اللُّغوي على الألفاظ بل تعداها إلى أبيات الشعر نحو قول الراجز:

وليلة من ليالي الحندس ** لون حواشيها كلون السندس[3]

فكلمة السندس كلمة فارسية.

ونجد ألفاظاً سريانية في شعر إبراهيم الموصلي قال:

(أزل بشين) حين ودَّعَني

وقد لَعَمْرُك زلنا عنه بالشين[4]

فكلمة (بشين) ذات أصل سرياني ومعناها امض بسلام.

كثرت الألفاظ الفارسية دون غيرها في اللُّغة العربية مِمَّا يدلُّ على فهم

١/ اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري: د. مصطفى هدارة، مطبعة دار المعارف، ١١١٩، كورنيش النيل، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٧٩.

٢/ المعرب: لأبي منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد الخضر، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٦١هـ، ص٢٠٩.

٣/ المرجع السابق: ص١٧٩.

٤/ الأغاني: دار الثقافة، ج٥، ص١٦٢.

الناس لمعانيها وتقبلهم لها، كما يرجع السبب إلى طغيان الحضارة الفارسية على غيرها من الحضارات(١).

مثلت البصرة والكوفة دوراً كبيراً خطيراً في التقاء الثقافة الفارسية بالعربية لتمركز الفرس فيها وهنالك موسم الحج الذي كان يُمثل أكبر مجمع لخليط من الثقافات واللغات ولا ننسى ما للرقيق من دور كبير في إدخال مثل هذه الألفاظ الأعجمية في اللُّغة العربية عن طريق الشعر والغناء(٢).

العلوم والترجمة:

أزكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب إذ دفعهم دفعاً قوياً إلى العلم والمعرفة وقد كانت العلوم النقلية والعقلية اعتمدت على الرواية وصحة السند ومنها ما اعتمد على العقل مثل الطب والرياضة ونجد علوم الفقه التي أخذت المنهجين وعلم الكلام الذي اعتمد على الثقافات المختلفة(٣).

بعد أن استقرت الأحوال بالعباسيين في دولتهم الجديدة أقبل العلماء على تدوين هذه العلوم كل حسب مجاله وتخصصه، منهم ابن قتيبة الذي كان صادقاً في روايته عالماً باللغة والشعر والفقه وغريب القرآن فألف كتاب **(تأويل الحديث)**، **(عيون الأخبار)**، **(عيون الشعر)**، و**(الشعر والشعراء)**(٤). وغيرها من الكتب القيمة التي أصبحت مراجعنا في هذا العصر ومنهم أبو عمر بن العلاء وهو أحد القراء السبعة قال عنه الجاحظ: "كان أبو عمر أعلم الناس بالغريب

١/ اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري: ص٨١.

٢/ ضحى الإسلام: أحمد أمين، ط٣، ج٢، ص٢٥١.

٣/ المرجع السابق: ص١٦.

٤/ الفهرست: لمحمد بن إسحق النديم، تحقيق د. ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة للطبع، ط١، ١٩٨٥م، ص١٥٢.

والقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس"[١]. وغيرهم كثير من العلماء رحل إلى البادية حيث أصالة اللُّغة ورحل علماء الحديث إلى الأمصار المختلفة فنجد مسلم ابن الحجاج -صاحب الصحاح- رحل إلى الحجاز والعراق والشام وقدم بغداد وأخذ من أهلها قال السيوطي: "الذين نُقلت عنهم العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ثم هُذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولَمْ يؤخذ من غيرهم من سائر الأمم"[٢].

أقبل العرب على كتب علوم العجم وترجموها وأخذوا منها الحكمة والسياسة والمنطق وعلم الحساب فكان المنصور أول خليفة قرب المترجمين فتُرجمت له عدد من الكتب إلى العربية منها كتاب (**كليلة ودمنة**) وكتاب (**السندهند**) وكتاب أرسطو (**طاليس**) وكتاب (**المجسطي**) التي نقلها إلى العربية الحجّاج بن قطر الكوفي[٣].

صحّح المأمون كثير من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض وسمى أرصاد علمائه الرصد المأموني[٤] عنى بنقل كتب الموسيقى التي استفاد منها الخليل بن أحمد في وضع علم العروض[٥] واستفاد من كتب الخليل إسحق الموصلي. من النقلة الذين ترجموا إلى العربية: إبان اللاحقي نقل كتاب (**مزدك وأردشتير**) ولا ننسى ما

١/ البيان والتبيين: ج١، ص٣٢١.

٢/ المزهر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، ط٤، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، ج٢، ص٢١١.

٣/ الحيوان: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ج١، ص٨١.

٤/ الفهرست: ص٥٠٦.

٥/ معجم الأدباء: ياقوت الحموي، مطبعة دار المعارف، ج١١، ص٧٣.

للبرامكة من دور عظيم في نقل العلوم العربية، ومن النقلة في عهدهم النوبجت[1] واجتلب يحيى بن خالد البُرمكي أطباء الهند مثل منكه الذي فسر كتب أسماء العقاقير الهندية وكتاب سرد في البيمارستان.

دور العلم:

نهض التعليم حينئذ نهضة واسعة، وكان الناشئ يبدأ بالتعليم في الكتاتيب حيث يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم وشيئاً من الحساب وبعض الأشعار والأمثال[2].

كان المعلم يُعطى فيه أجراً زهيداً مقابل تعليمه، ولكن معلمي أولاد الخلفاء والوزراء يتقاضون رواتباً كبيرة فمنهم المبارك الأحمر مؤدب الأمين ويقال إنه أعطاه يوماً ثلاثمائة ألف درهم. وبعض معلمي الكتاتيب يعلمون الناشئة السنن والفرائض والنَّحو والعروض[3].

وكانت المساجد ساحات كبرى للعلم. فلم تكن بيوتات للعبادة فحسب، بل كانت معاهد لتعليم الشباب. فهم يلتفون في حلقات حول الأساتذة. وكان لكل فرع من المعرفة حلقته أو حلقاته الخاصة، وكانت حلقة الفقهاء من أكبر الحلقات، كذلك حلقة المتكلمين لِما يجري فيها من مناظرات ومحاورات. كانوا يتناشدون الشعر في المسجد فيثنون على هذا ويُعيبون على ذاك، ولَمْ يتحرجوا من إنشاد شعر الغزل إقتداءً بكعب بن زهير الذي أنشد الرسول ﷺ في المسجد قصيدته المشهورة التي افتتحها بقوله:

١/ الفهرست: ص٣١؛ البيمارستان: المستشفى.

٢/ البيان والتبيين: ج٢، ص١٨٠.

٣/ المرجع السابق: ص٢١٩.

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ

مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُفْدَ مَكبولُ[١]

ويُروى أن النضر بن شُمَيْل تلميذ الخليل بن أحمد حين عزم على الخروج من البصرة إلى خراسان شيَّعه نحو ثلاثة آلاف شخص بين محدث ونحوي ولغوي وعروض فجلس لوداعهم بالمرْبد[٢] الذي كان منهلاً لشباب البصرة يغدون عليه ويروحون للقاء الفصحاء من الأعراب والتحدث إليهم لاكتساب السليقة العربية المصفاة[٣].

وكان من أهم وسائل نشر العلم استخدام الورق وكانوا قبل ذلك يكتبون في الجلود والقراطيس. فاتسعت صنعة الوراقة. وهي تحل في هذا العصر محل الطباعة في عصرنا الحديث[٤].

من وسائل نشر العلم في ذلك العصر كذلك المكتبات وحُب العلماء لاقتناء الكتب، وقد أقامت الدولة في عهد الرشيد مكتبة ضخمة هي دار الحكمة وعنيت فيها أشد العناية بالكتب المترجمة[٥].

وأعظم منها وأضخم مكتبة يحيى بن خالد البُرمكي. ويقال إنه لَمْ يكن في مكتبته كتاب إلاَّ وله ثلاث نسخ[٦].

١/ العقد الفريد: ج٣، ص١٢٥.

٢/ معجم الأدباء: ج١٩، ص٢٣٨.

٣/ الحيوان: أبو عثمان بن بحر الجاحظ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ج٦، ص٢٣٩.

٤/ الفهرست: ص٨١.

٥/ الحيوان: ج١، ص٦١.

٦/ المرجع السابق: ص١٦٠.

أحب الرشيد العلماء وكان قصره يمثل مركزاً لمختلف الثقافات وذلك لشغفه بالشعر وضروب الآداب فأغدق على الشعراء بسخاء[1]. ومن المجالس مجلس يحيى البُرمكي الذي كان ذا علم ومعرفة وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام ومن أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل[2].

بجانب هذه المجالس الكبيرة مجالس صغيرة يجتمع فيها العلماء يتبادلون ويتناظرون كمجلس أبي عبيد الأحمر عند الفضل بين الربيع ومجلس الأفردي بالبصرة.

قال الأصفهاني: "كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمر بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار بن بُرد، وصالح عبد القدوس، وعبد الكريم بن العوجاء، ورجل الأزد، يجتمعون في مجلس الأزدي ويختصمون عنده"[3].

ومِمَّا تقدم يتبين لنا أن القرن الثاني الهجري شهد حركة عقلية ضخمة أمدها روافد كثيرة من ثقافة عربية أصيلة تتمثل في الشعر والقرآن الكريم. كما جُمِع التراث الشعري القديم لأول مرة ودُوِّن في ذلك العصر.

١/ عصر المأمون: أحمد فريد رفاعي، مطبعة دار الكتب المصرية، ص١٧٤.

٢/ مروج الذهب: ج٣، ص٣٧.

٣/ الأغاني: دار الكتب، ج٣، ص١٤٦.

المبحث الثاني
حياة الشاعر

اسمه- كنيته- نسبه:

اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل وقيل: ابن بهيش بن خرَّاش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفص بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ثعلبة(١).

وفي رواية أخرى هو محمد بن عبد الله بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي(٢).

وبعضهم ساق نسبه هكذا: محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سلمان ابن تميم الخزاعي، الكوفي، شاعر عباس، مطبوع، سريع الخاطر، رقيق الألفاظ، غلبه على الشهرة معاصراه: صريع الغواني، وأبو نواس(٣).

وفي رواية أخرى هو محمد بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي من اليمن(٤).

وكنيته: أبو جعفر، وجده بديل بن ورقاء صحابي جليل تقدم إسلامه وكان من كبار مسلمة الفتح أسلم هو وابنه يوم فتح مكة وتوفي في حياة

١/ الأغاني: علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني: ج١٦، ص٤٠٠.

٢/ العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده: لأبي الحسن علي بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ج٢، ص٢٩٠.

٣/ معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي: د. فؤاد صالح السيد، ط١، آذار/مارس ١٩٩٠م، ص١٩٠.

٤/ الأغاني: ج١٥، ص٤٠٠.

الرسول ﷺ وقتل ابنه عبد الله بن بديل في (صفّين) وذكر ابن إسحق أن قريش لجؤوا يوم فتح مكة إلى دار بديل بن ورقاء ودار رافع مولاه وله رواية عن الرسول محمد ﷺ[1].

ويقول صاحب كتاب الأغاني إنه كان عم الشاعر دِعْبل، بينما يذكر ابن قتيبة في كتاب (**الشعر والشعراء**) إنه كان ابن عم هذا الشاعر، وعلى ذلك جعل ابن قتيبة رزيناً جد أبو الشيص[2].

لقبه:

كان الأقدمون يقولون: لكل مسمى من اسمه نصيب؛ والشاعر يقول:

وقلما أبصرت عيناك من رجلٍ ** إلاَّ ومعناه في اسْمٍ منه أو لقب[3]

وأبو الشيص لقب غلب عليه، والشيص: بالكسر، ثمر لا يشتد نواه. قال الفرَّاء: وقد لا يكون له نوى، وقيل: هو رديء التمر، واحدته شيصة وشيصاء، وقيل: هو فارس معرّب، والشيص أيضاً: وجع الضرس أو البطن، لغة في الشوص[4].

الشَّوْصُ: الغَسْلُ والتَّنْظِيفُ. شاصَ الشيءَ شَوْصاً: غَسَلَه.

١/ الأغاني: ج١٥، ص٤٠٠.

٢/ المرجع السابق: ص٤٠٠.

٣/ لغتنا الجميلة: فاروق شوشة، تحقيق ليفي بوفنسال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٨م، دار العودة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٢٤٠.

٤/ الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، ج١٥، ص١٠٤؛ وجمهرة أنساب العرب: لأبي محمد علي أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، بمصر، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م، ص٢٤١.

وشاصَ فاه بالسِّواكِ يَشُوصُه شَوْصاً: غَسَلَه؛ وقيل: أَمَرَّه على أَسْنانهِ من أسفل إلى أعلى.

وفي نوادر الأعراب: شيَّص فلان الناس: إذا عذَّبهم بالأذى، قال وبينهم مشايصة: أي منافرة، ويقال: أشاص به إذا رفع أمره إلى السلطان[1]. قال: مقاس العائذي:

أشاصت بنا كلب شوصاً وواجهت ** على رافدينا بالجزيرة تغلب[2]

ويقال إن والية بن الحباب كان يدَّعي النسب إلى العرب لذلك قال فيه أبو العتاهية:

أَوالِبُ أَنتَ في العَرَبِ ** كَمِثلِ الشَيصِ في الرُطَبِ[3]

الألقاب تأتي على الكنى وإن المصادر لَمْ تذكر لنا سبب هذا اللقب وإننا لَمْ نعثر على ما يؤكد لنا أن له ابناً يدعى شيص وأن المصادر قد ذكرت لنا أن له ولد واحد اسمه عبد الله بن أبي الشيص، وكما عرفنا سابقاً أن الشيص هو رديء الثمر فإن شعره لَمْ يكن رديئاً أو ضعيفاً، ففي كثير من القصائد نرى حرارة الشباب وثورته وعاطفته وقوته. وكثير من الشعراء نجد ألقابهم تطغى على أسمائهم أمثال الحطيئة وأبو العتاهية وأبو نواس. فالغالب أن شاعرنا لقب بهذا اللقب لأنه كان يبيع تمراً رديئاً لذلك لُقِّب به.

وأن المصادر ذكرت الشاعر واسمه ولقبه الذي عرف به أبو الشيص

١/ لسان العرب: لابن منظور بن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧٠٠هـ)، دار صادر، بيروت، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠٠هـ، ص٥١.

٢/ المرجع السابق: ص٥١.

٣/ الأغاني: ج١٦، ص١٤٩.

وبكنيته أبو جعفر ولَمْ يذكر في أخباره وأشعاره إلاَّ بهما.

ميلاده ونشأته:

لقد بخلت علينا جميع المصادر التي تناولت حياة الشاعر أو التي ترجمت له، سنة ولادته أو نشأته غير أنها اكتفت بذكر سنة وفاته التي اتفقت عليها في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة، وذكر الصلاح الصفدي، أنه توفي في سنة مائتين، ومثله نقله ابن شاكر الكتبي عن أبي الجوزي[1].

وانفرد البكري[2] بخبر أشار به إلى أن أبا الشيص كوفي ومعدود في شعراء الكوفة.

وأرجح أن أبا الشيص ولد بالكوفة، في الفترة المنحصرة بين سنتي (١٢٦-١٣٦هـ) ونشأ بها ثم انتقل إلى حاضرة الدولة العباسية بغداد. ودرج في بلاد هارون الرشيد حتى عُدَّ من شعرائه ونشأ في أسرة من الشيعة[3].

ولَمَّا مات الرشيد رثاه ومدح الأمين فقال:

جَـرَت جـوارِ بالسَـعدِ والـنَحسِ ** فَـنَحنُ في وَحْشَـةٍ وَفي أُنْـسِ

١/ يُنظر، نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٩١٠م، وقد أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثاني ببغداد، ص٢٥٧.

٢/ سمط اللآلئ: لأبي عبد البكري (ت٤٨٧هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٩٣٦م، ٥٠٦/١.

٣/ تاريخ بغداد: للخطيب أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ٤٠١/٥.

العَــينُ تَبكــي والسِــنُّ ضــاحِكَةٌ ** فَــنَحنُ في مــأتم وَفي عُــرس [1]

عاش أبو الشيص في بلاط هارون الرشيد وهنالك قصة حدثت لــه مــع جارية من جواري الخليقة ولَمَّا لَمْ يرضَ الشاعر بما لقيه من التقدير ولا بما نالــه من العطاء في بغداد بصفة خاصة رحل إلى الرقة وانقطع إلى أميرها عقبة بن جعفر ابن الأشعث الخزاعي ويقال إنه نال رضا أمير هذا البلد بقصيدة مدحه فيها قائلاً:

لا تُنكري صَدّي وَلا إِعراضي ** لَيسَ المقل عَلى الزمانِ براضِ [2]

وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره لأنه كان يعطيه عن كل بيــت ألــف درهم وأمر أن تعد قصائده. وبقي في بلاط هذا الأمير نــديماً وشــاعراً إلى أن توفي[3].

وكان شاعرنا صديقاً لأبي نواس وأشجع السلمي ومسلم بن الوليد فخمل ذكره معهم وعمي شاعرنا في أواخر أيامه[4].

أسـرة الشـاعـر:

لا نعرف عن أمر أحوال أسرة أبو الشيص شيئاً وضنَّت المراجع العربيــة القديمة، فحجبت عنا أخباره، ولَمْ تحك شيئاً عن حياته اللهم إلاَّ نبذاً انتشــرت كالنجوم في صحائف بعض الأصول. إن الجزء الأكبر من حياة هذا الشاعر ظل

١/ ديوان أبو الشيص: تحقيق أبو بكر الصولي، المكتب الإسلامي، بيروت ص.ب ٣٧٧ دمشق ص.ب ٨٠٠، ص٦٨.

٢/ المرجع السابق: ص٧٦.

٣/ دائرة المعارف الإسلامية: أصدرت بالألمانية والإنجليزية والعربية، أصدرها بالعربيــة أحمــد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الفكر، المجلد الأول، العــدد الأول، أكتوبر ١٩٣٣م، جمادى الثانية ١٣٥٢هــ.

٤/ تاريخ الأدب العربي- الأعصر العباسية: تأليف عمر فروخ، دار العلم للملايين، بــيروت، ط١، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٤٨-١٤٩.

خافياً وليس بين أيدينا شيء عن طفولته وحياته كما نجهل علاقته بأفراد أسـرته وهل نشأ في ظل أبويه أم أنه عاش يتيماً بعد فقد إحداهما أو كليهما. فالمصـادر والشعر لا يسعفاننا بشيء من ذلك غير ما ذكرته المصادر عن ولـده عبـد الله وأشارت إلى نبذة من ترجمته وشعره فهو شاعر مذكور صالح الشعر(١) بلغ شعره في قول ابن النديم سبعين ورقة(٢) وله شعر في هجاء أبي سعد المخزومي خصـم ابن عم أبيه دعبل(٣).

أخبرنا محمد بن موسى البربري عن دعبل بن علي قال: من شعراء بغداد عبد الله بن أبو الشيص وهو القائل:

أظـنُّ الـدَّهر قـد آلا فـبرَّا ** بـألاَّ يكسـب الأمـوال حـرَّاً
لقـد قعـد الزَّمـان بكـلِّ حـرٍّ ** ونقّـض مـن قـواه المسـتمرَّا (٤)

وله راثياً أبا تمام الطائي:

أَصْـبَحَ في ضَـنْكٍ مـنَ الأَرْضِ ** أكثَـرُ في الأرض مـنَ الأرْضِ
مَـنْ عَـرْضُ ذِكْـرَاهُ وَمَـنْ طُولهُـا ** كالأرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالعَـرْضِ (٥)

ولسنا ندري على التحقيق متى تزوج أبو الشيص؟ وهل تزوج أكثر مـن واحدة؟. ولا نعرف من أولاد الشاعر غير ولده عبد الله الذي تقدم ذكره ونرجح على كل حال أن يكون أبو الشيص رزق بولده هذا مبكراً لقوله الشعر. ولسنا

١/ الشعر والشعراء: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (الدينوي)، تحقيق د. محمد عبد الغني حسين، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م، ج٢، ص٨٢٥.

٢/ الفهرست: ص٢٣٠.

٣/ الأغاني: لأبي فرج الأصفهاني: ج٢٠، ص١٣٠-١٣١.

٤/ ديوان أبو الشيص: ص١٠.

٥/ المرجع السابق: ص١١.

نعرف هل رزق البنات؟ ولسنا نعرف شيئاً عنهن. وليس في أيدينا أخبار كثيرة عن حياته في هذه المرحلة الخطيرة من مراحل تكوينه النفس والفكري. وقد وصل شاعرنا إلى ثقافة عربية كان لا بد للشاعر آنذاك أن يحصلها وعلم باللغة والتاريخ والشعر مِمَّا يكشف عن شعره فلا بد أن يكون دخل أحد الكتاتيب فتعلم القراءة والكتابة ويغلب أن يكون لقي في أسرته رعاية أدبية. ونظن أنه لقي أبو نواس الذي تربطه به صلات كثيرة وأخذ عنه.

قبيلته خزاعة:

اختلفت النسابة في قبيلة خزاعة التي ينتسب إليها شاعرنا أبو الشيص اختلافهم في بعض قبائل العرب. مثل إياد فقد ادعاها عرب الشمال وعرب الجنوب. وخزاعة اسم قبيلة من عرب الجنوب، وهي من قبيلة الأزد الكبيرة والنسابة يجمعون -باستثناء قليل منهم- على رد نسب هذه القبيلة إلى عمرو الملقب بلُحيّ بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء. وهم يتفقون فوق ذلك على أن خزاعة تركت مع غيرها من بطون الأزد، اليمن في عهد سحيق واتجهوا جميعاً صوب الشمال. فلَمَّا بلغوا ربوع مكة تابع أغلبهم الرحلة فذهب بنو غسان إلى الشام، وأزد شنوءة إلى عمان، بيد أن لحيا بقي مع عشيرته بالقرب من مكة وبذلك (انخزعوا) أي انفصلوا عن بقية القبيلة.

وكانت مكة والأرض المقدسة إذ ذاك في يد قبيلة جرهم. وكان ذلك الوقت القرن الخامس الميلادي على وجه التقريب وإن كان العلماء بالتاريخ القديم من العرب يجعلون هذا التروح إلى مكة أسبق من ذلك بعده قرون وذلك بإطالة أعمار بعض أمراء القبيلة(١).

١/ نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب: لأبي العباس أحمد القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، ١٩٥٩م، الشركة العربية للطباعة والنشر، ص٢٤٤.

وقيل خزاعة قبيلة من الأزد من القحطانية. وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء[١].

قال أبو عبيد: وعمرو هذا، أبو خزاعة كلها، ومنه تفرقت بطونها، فولد له كعب بطن، ومليح بطن، وعدي، وعوف، وسعد[٢].

وذكر في موضع آخر أن خزاعة هو أسلم، ومالك، وملكان، من بني أفصى بن عامر بن قمعة بن إلياس بن مضر[٣]. وقال في العبر: قال القاضي عياض: المعروف في نسب خزاعة أنه عمرو بن لحيّ بن قمعة بن إلياس، بن مضر، وإنما عامر عم أبيه، أخو قمعة.

قال ابن الكلبي: وسموا خزاعة لأنَّ بني مازن من الأزد لَمَّا تفرقت من اليمن في البلاد تنزل بنو مازن على ماء بين زبيد ورفع يقال له: غسان، وأقبل أبو عمرو بن لحيّ فانخزع عن قومه فنزلوا مكة، ثم أقبل بنو أسلم ومالك وملكان بنو أفصى بن حارثة، فانخزعوا عن قومهم أيضاً، فسمي الجميع خزاعة. قال في العبر: وكانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما، وكانوا خلفاء.

لقريش وكانت لخزاعة ولاية البيت بعد جرهم، ولَمْ تزل بيدهم إلى أن باعها أبو غبشان من قصي بن كلاب بزق خمر[٤].

اختلف النسابون في اسمه: وقيل خزاعة اسم قبائل من نسل عمرو بن لحيّ وفي النسابين من يجعلهم عدنانيين من مضر، والأكثر على أنهم قحطانيون، كانت

١/ دائرة المعارف الإسلامية: إصدارة بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، المجلد الثامن، ص٣٠١.

٢/ جمهرة أنساب العرب: ص٣١١، ٣٤٧.

٣/ المرجع السابق: ص٢٢٨.

٤/ نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب: ص٢٤٥.

منازلهم بقرب الأبواء (بين مكة والمدينة) وفي وادي غزال، ووادي دَوْران، وغسفان في تهامة الحجاز. ورحل بعضهم إلى الشام وعمان. وهم بطون كثيرة صنمها في الجاهلية (ذو الكفين) تشاركها فيه قبائل (دوس) قال المسعودي: كانت ولاية البيت الحرام في خزاعة ثلاثمائة سنة(١).

ومن منازلهم كانوا بأنحاء مكة مر الظهران، ومن مياههم: بيضان، الوتير، المريسيع، والقرابات.

بطونهم: فيهم بطون كثيرة منهم بنو المصطلق بن سعد بن عمرو بن لُحيّ، بنو كعب بن عمرو، بنو عدي بن عمرو، بنو مليح بن عمرو، وبنو عوف ابن عمرو.

تاريخهم: كانت لهم ولاية البيت (الكعبة) قبل قريش، في بني كعب بن عمرو بن لحي، فرغبت قيس بن عيلان في البيت، وطمعوا أن يترعوه منهم، فساروا ومعهم قبائل من العرب، ورأسوا عليهم عامر بن الظرب العدواني، فساروا إلى مكة في جمع، فخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا، وهزمت قيس(٢).

وكان بين بني كنانة وخزاعة حلف على التناصر، والتعاضد، على سائر الناس فاقتتلت خزاعة وبنو أسد، فاحتلتها بنو أسد، فاستعانت خزاعة ببني كنانة، فذكر الشراخ قرابة بني أسد، فخذل كنانة عن نصرة خزاعة.

وإن بني بكر بن عبد مناة عَدَت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتيرة، فاقتتلوا وقد أعانت قريش بني بكر على خزاعة ثم دخلت

١/ اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين بن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد، ، ج١، ص٣٦٨.

٢/ الأغاني: طبعة الساس، ج١٣، ص٣؛ وفي الأغاني: طبعة دار الكتب، ج٣، ص٩٣.

بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وذلك سنة ٨هـ. وحاربت خزاعة مع علي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ.

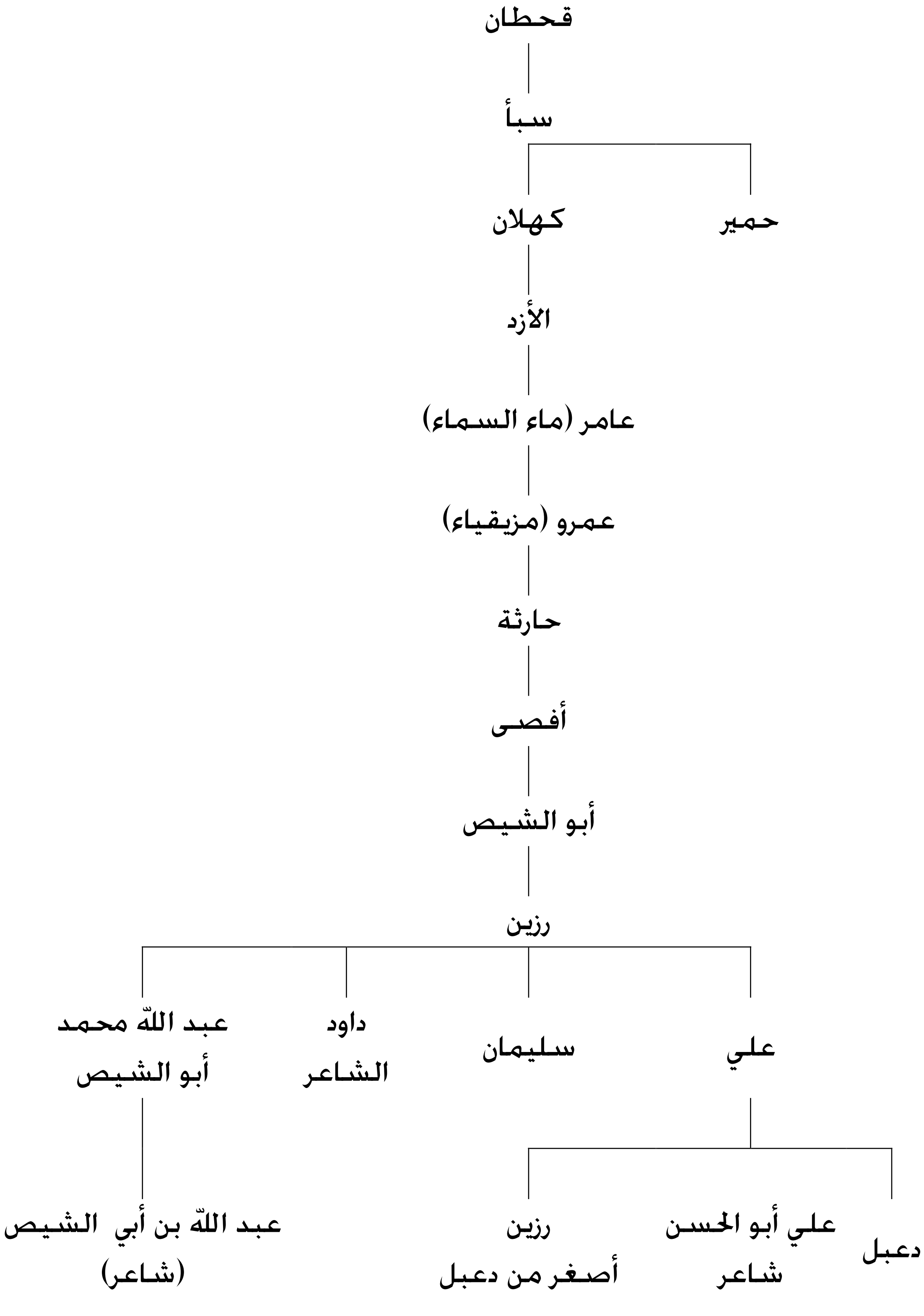
معارفهم: كانوا يحيطون بعلم العرب العاربة، والفراعين العتاهية، وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس.

عبادتهم: كانوا يعظمون مناة، وهو اسم صنم كان لهذيل، وخزاعة بين مكة والمدينة[١]. وقد عرفت قبيلة خزاعة بالولاء العميق لآل البيت في الإسلام بعد أن والت النبي ﷺ وتحالفت معه في أولى مراحل الدعوة حتى كان معاوية ابن أبي سفيان يقول: "إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلت"[٢].

١/ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ج١، ص٣٤٠.

٢/ وقعة صفين: لابن مزاحم، ص٢٤٧.

نسب أبو الشيص وأهله



وتضم هذه القبيلة الكبيرة (بيت آل رزين) وهو من بيوتات العرب المعروفة بالعلم والفضل والأدب وإن اشتهر جلهم بالشعر على رأي ابن رشيق القيرواني. ووفى رجال هذه الأسرة وهذا البيت طائفة من المحدثين والمؤلفين والشعراء المشهورين وهذه لمحات موجزة عن أفراد من هذه الأسرة: علي بن رزين كان شاعراً مقلاً ترجم له المرزباني وأيضاً عبد الله بن رزين وكان أحد الشعراء كما ذكره ابن رشيق وعلي بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

ورزين بن علي بن رزين وكان من شعراء هذه الأسرة ودعبل بن علي الخزاعي والحسين بن دعبل وهو شاعر مطبوع. وعبد الله بن أبي الشيص أيضاً شاعر صالح الشعر[1].

وفي هذا الوسط الزاخر بالأحداث والتيارات العاصفة وبين هذه القبيلة الكبيرة التي ظهر فيها الأبطال والأعيان وفحول الشعراء نشأ شاعرنا أبو الشيص.

ثقافته:

الثقافة هي تغذية العقل وتزويد الإنسان بالمعلومة في مختلف المجالات يحتاجها كل من تولى أمر ما.

أمَّا حاجة الشاعر لها فهي ماسة، فهي تعبر عن فنه وفكره وشخصيته، يقول ابن رشيق عنها: والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة، لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من: نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة. واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته،وهو مكتف بذاته مستغن عمَّا سواه، ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار، وصاحبه الذي يذم، ويحمد، ويهجو، ويمدح،

١/ العمدة في صناعة الشعر ونقده: ج٢، ص٢٩٠.

ويعرف ما يأتي على الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه فهو على نفسه شاهد وبحجته مأخوذ(١).

لقد بخلت علينا المصادر في التنقيب عن أيام صباه وكيفية تعلمه وأستاتذته في فنونه، ومشايخه في علومه، والمصادر برمتها خالية من البحث في هذا الجانب، ولكن شعر أبو الشيص يدلُّ على أنه اتصل بالمهدي والرشيد، وكانت الكوفة في القرن الثاني للهجرة تعج بالأئمة والعلماء، تعقد فيها مجالس العلم والأدب والفقه(٢).

وقد أقبل الفرس على التعريب إقبالاً منقطع النظير، فقد أكبوا على تعلم العربية حتى أتقنوها واتخذوها أداة للتعبير عن عقولهم ووجداناهم. وكانت المساجد ساحات العلم الكبرى وكانت معاهد لتعليم الشباب حيث يتحلقون حول الأساتذة يكتبون ما يلقونه أو يملونه وكذلك كانت حلقة المتكلمين لِما يجري فيها من مناظرات ومحاورات(٣).

ويخيل إلى الإنسان كأنما كانت أزواد المعرفة والثقافة ملقاة في كل مكان بأمصار العراق وهي حقاً كانت مطروحة في الطرقات معرضة لكل الأيدي فأبواب المساجد مفتوحة على مصاريعها لكل الواردين ومثلها دكاكين الوراقين. ولا مصاريف تطلب للعلم والتعليم مجاناً من حق الجميع وكان لذلك آثار بعيدة فإن جمهور العلماء والشعراء لهذا العصر كانوا من أبناء العامة، ويكفي أن تعرف أن أعلام الشعر حينئذ وهم بشار بن برد وأبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام

١/ العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده: ج١، ص١٦٦-١٦٧.

٢/ ديوان صريع الغواني: مسلم بن الوليد، حققه سامي الدهان، ط٢، مكتبة دار المعارف بمصر، ج١، ص٩.

٣/ العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ط٤، مطبعة دار المعارف، مصر، ص١٠٢.

كانوا جميعاً من الطبقة الدنيا في الشعب، فبشار كان أبوه طباناً يضرب اللبن، وأبو نواس كانت أمه غازلة للصوف، ومن هذا الغزل كانت تعوله، وكان أبو مسلماً حائكاً، أمَّا أبو تمام فكان أبوه عطاراً أو خمَّاراً. ومن وراءهم من الشعراء كان جمهورهم من أبناء العامة كذلك كان العلماء في جميع فروع العلم بل كان منهم من يجمع بين علمه وحرفته التي نشأ فيها(١).

وأبعد من ذلك وأعمق أن بين أيدينا من النصوص ما يدلُّ على أن أكثر العامة كانوا يصيبون حظوظاً مختلفة من الثقافة، وليس من شك في أن ذلك كان ثمرة ازدهار الحركة العلمية في العصر فقد تغلغلت المعرفة والثقافة في جميع الأوساط حتى في أوساط العامة وأصبحتا غذاء لجميع العقول والقلوب وبرزت صفوة من العلماء والأدباء كان جمهورها من أبناء هؤلاء العامة قادت الحركتين العلمية والأدبية قيادة خصبة باهرة استطاعت أن تسيغ كل ما نقل إلى العربية من ثقافات متباينة وأن تضيف إليها من عقولها وقلوبها ما دعم حضارتنا العربية دعماً بما أحدثوا من علوم وبما كتبوا من آثار عقلية رائعة وآيات شعرية خالدة(٢).

وبهذا نرى أن شاعرنا قد امتاز بفنون عديدة ولكن أجل ذلك الشعر، أمَّا شعره طبق ذكره الخافقين وأقرّ شعراء عصره ومن جاء بعدهم بالمترلة السامية، والقريحة الجيدة، والأسلوب الرصين، والمعاني البديعة، والعاطفة الصادقة، ولا عجب فإن العصر الذي كان يعيش فيه، والبيئة التي خرجته كانت بيئة شعرية رفيعة، وقد قال شاعرنا أبو الشيص شعراً كثيراً في وصف الخمر.

ديوانه:

١/ العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص١٠٨.

٢/ المرجع السابق: ص١٠٩.

ذكر ابن النديم أن لأبي الشيص ديواناً صنعه أبو بكر الصولي المتوفى سنة ٢٤٣هـ، وقال: هو في خمسين ومائة ورقة، وذكره البكري في (**سمط اللآلئ**)، وذكره من المعاصرين الشيخ محمد عبد المحسن الطهراني (أغا بزرك الطهراني ١٩٧٢م) في موسوعته (**الذريعة إلى تصانيف الشيعة**)، بقوله[1]: ديوان

أبو الشيص، هو أبو جعفر بن عبد الله بن رزين بن سليمان الخزاعي، الشهيد في ١٩٦هـ، وهو ابن عم دعبل بن رزين بن سليمان الخزاعي وقد تناثرت مختارات من أشعار أبو الشيص في شتيت المظان والمراجع التاريخية والأدبية. واستأثرت باهتمام عالمين أديبين من علماء العربية في أزهى عصورها هما ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وابن المعتز (ت٢٩٦هـ) فحفظا لنا جملة صالحة من هذه المختارات، وربما انفرد أحدهما بمقطعات أو قصائد كاملة منها لا نجدها في مصدر آخر ثم ذكر الأصفهاني نبذاً منها وصنع مثله الرقيق النديم وابن شاكر الكتبي.

وقد ألقت يد النسيان والكوارث بجملة من الدواوين في مراقد البلى وأرماس العبث والضياع وديوان أبو الشيص قد عفا عليه الزمن ولَمْ نجد له إلاَّ أخباراً متناثرة في أمهات المظان ودواوين اللُّغة وأصول التاريخ ولَمْ يبق من شعره إلاَّ نذر تحتجنه شتيت المصادر والأصول.

وصف عام للديوان:

لقد ضاع هذا الديوان فيما ضاع من تراث العرب والمسلمين وفي سنة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م صدر في بغداد كتاب عنوانه (**أشعار أبو الشيص**

١/ يُنظر، الفهرست: لابن النديم، ص٢٣٠؛ والشعر والشعراء: ص٧٢٦؛ وطبقات ابن المعتز: ص٣٦٥.

الخزاعي) جمعها وحققها عبد الله الجبوري يقع الكتاب في ١٥٠ صفحة من الحجم المتوسط تقع المقدمة في ١٨ صفحة ويشغل نص الديوان نحو ٩٠ صفحة. وتتوزع الصفحات الأخرى بين أخبار أبو الشيص والقصيدة الدعدية التي حققها عن مخطوطة الخزانة الظاهرية بعد أن رجح نسبتها إلى أبو الشيص وقد قوبل صدور هذا المجموع الشعري بالترحاب فهو ينشر أول مرة وقد بذل المحقق جهداً مضنياً في جمع هذه الباقة الشعرية الأنيقة من شعر أبو الشيص وألفها في مجموع موحد وقدم الجبوري طبعة ثانية ظهرت بعد فترة مديدة تحت عنوان **(ديوان أبو الشيص الخزاعي وأخباره)** منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤م، قوام الكتاب ١٩٠ صفحة شغلت المقدمة ٢٣ صفحة والنص الشعري ٩١ صفحة وكان نصيب القصيدة الدعدية ٢٨ صفحة والشعر المتنازع ٩ صفحات ولأخبار أبو الشيص ١٣ صفحة ثم جريدة المظان والأصول ثم آثر المحقق العناية والاستمرار بأبي الشيص وضمت الطبعة الجديدة إضافات قيمة كماً ونوعاً إنه أحسن صنعاً بإبدال العنوان من أشعار إلى ديوان وأفرد باباً للشعر المتنازع لكنه لَمْ يثبت بحور القصائد والمقطّعات.

منهج الديوان:

بعد أن انتهى المحقق من التقاط أشعار أبو الشيص وتجميع أخباره عمد إلى الأخذ بالمنهج الآتي:

١/ قام بترتيب المقطّعات والقصائد ترتيباً هجائياً، وجعل تخريج كل نص منها في الهامش.

٢/ شرح ما انبهم من لفظ النصوص وعرّف بالأعلام التي وردت فيها ما دعت الضرورة إلى ذلك.

٣/ ضم إلى شعر أبو الشيص القصيدة الدعدية.

٤/ ألحق في آخر شعر أبو الشيص ما وقف عليه من نصوص تضمّنت أخباره.

شعره:

من يتأمل ديوان أبو الشيص لا بد أن يسأل نفسه، هل يمكن أن يكون بهذه القِلَّة؟

وهل ما قاله عبد الله الجبوري من أن شعر أبو الشيص يقع في مائة وخمسين ورقة تام؟ كل هذا يجعلنا نتساءل هل هذا الشعر الذي قيل إنه يقع في ستين قصيدة ومقطّعة وسبعة أبيات هو كل شعره أم شعر آخر لَمْ يصل إلينا. وهل هذه النسخة التي قصدها الجبوري تضم نفس القصائد التي في مخطوطة الديوان أم إنها غيرها وإنها ضاعت مع الزمن سواء كان ما قصده الجبوري هو ما وصل إليه أو غيره، فإنه لا يمكن أن يكون هذا الشعر الذي بين أيدينا هو حصيلة الأعوام السبعين التي عاشها الشاعر؟ فهذا الشعر لا يتناسب مع سنين عمره التي عاشها. كما إن هناك مراحل مختلفة من حياته لَمْ نجدها في شعره فهل يمكن أن تكون ربة الشعر قد صدت عنه فلم تجد قريحته وهو في بلاط هارون الرشيد وعقبه إلاَّ بقصيدة في مدح هارون الرشيد وقصيدتين في مدح عقبة ومقطوعتين في رثاء الرشيد.

وأين شعره من قبيلته خزاعة. وأجداده آل رزين وقومه وعشيرته؟ فوجدنا له من الشعر في بكاء الشباب ووصف المشيب وما فعله فيه من ضعف، ما لَمْ نجده عند الكثيرين من الفحول. لا يمكن أن يكون هذا نصيب صاحبه من الشعر.

فغالباً ما يكون شعر أبو الشيص قد ضاع فلم يصل إلينا منه إلاَّ القليل. وربما معاصرته لفحول شعراء العصر العباسي الأول مِمَّا أدى إلى انصراف الناس

عن شعره كما انصرفوا عن كثيرين غيره.

ولو نظرنا إلى ما وصل إلينا من شعر أبو الشيص لرأينا على ما قلته دليلاً ملموساً على كثرة شعره. إن أغلب ما بين أيدينا قصائد صغيرة ومقطعات وفيرة اختيرت من أمهات لها طوال أو أبيات مصرعه اقتطعت من مطالع القصائد وأخرى غيرها أفردت من أصلابها وقد تناثرت هذه الأبيات كلها في بطون الكتب، ولكنها ظلت شواهد ناطقة. والذي جمع من شعر أبو الشيص في ديوانه الذي بين أيدينا أربعمائة وسبعة وسبعين بيتاً موزعة بين القصائد والمقطعات.

وفاته:

لعل من الغريب أن تفضض حياة كثير من الشعراء بأسلوب فيه شيء من الغرابة وأحياناً يقرب من الخيال. وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني قصة طريفة في نهاية حياة أبو الشيص فقال: "كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب، فلما ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل، فذهب يدب إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك، قتلتني والله، وما أحب والله أن أفتضح أني قتلت في مثل هذا، ولا تفتضح أنت بي، ولكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمي، واجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري، فقل: إني سقطت في سكري على الدستيجة فانكسرت، فقتلتني، ومات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، ودفن أبو الشيص، وجزع عقبة عليه جزعاً شديداً. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبة عن خبره، وأنه هو قتله، فلم يلبث أن قام إليه بسيفه، فلم يزل يضربه حتى قتله"[1].

١/ الأغاني: ج١٥، ص١٠٨.

الفَصْلُ الثَّانِي

عناصر تشكيل الصورة الفنية

تمهيد

مفهوم الصورة الفنية

المبحث الأول

التشبيه وأثره في تشكيل الصورة

المبحث الثاني

الاستعارة وأثرها في تشكيل الصورة

المبحث الثالث

الكناية وأثرها في تشكيل الصورة

المبحث الرابع

اللُّغة والأسلوب

تمهيد
مفهوم الصورة الفنية

مجال الشعر هو الشعور، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو ما يعتمل في صدره، ويجول في خلجات نفسه من تصوره للحياة وانفعالاته من آمال وآلام، وتطلعات، يسكبها في قالب فني، يعبر بها عن ما يخالجه في ذاته من إحساس، وشعور تجاه الكون وما حوله.

تعددت الآراء وتباينت حول مفهوم الصورة الفنية يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: "إن الصورة الفنية وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره، ويصيغ بها خياله فيما يسوق من عبارات وجُمل، لأنَّ الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب وفيه يتجلى طابعه الخاص، والكاتب في أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبي الذي هو بسبيله"[(١)].

من خلال نص الدكتور محمد غنيمي هلال يتضح أن ظهور شخصية الكاتب من خلال أدبه وفنه. ولعله يوضح أن الظهور الشخصي للمبدع لا يكون في الشعر فقط لأنه قال: "الجنس الأدبي الذي هو بسبيله" والجنس الأدبي يشمل كل الآداب من شعر، ومسرح، وقصة، ورواية، ونثر، وخطابة، وحكاية، ونوافقه الرأي في ذلك.

كما يقول الدكتور جابر عصفور: "إن الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته، فتتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها، ولكن الاهتمام بها يظل قائماً ما دام هناك شعراء يبدعون ونقاد

١/ الأدب المقارن: د. محمد غنيمي هلال، ط١، د.ت، ص٢٧٣.

يحاولون تحليل من أبدعوه وإدراكه الحكم عليه"[1]. من مفهوم كلام الدكتور جابر عصفور أنه يعتمد على نظرية الجوهر الأفلاطونية التي تنبثق من نظرية المحاكاة العامة لأفلاطون وتحليل الأدب في نظره، وفي رأيي لا بأس بها ولكن أرى أن الجوهر له علاقة بالشكل حتى تكتمل الصورة المرجوة.

إن الصورة الفنية سمة بارزة من سمات العمل الأدبي، والصورة تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيله، وقد لا تسعفه الألفاظ في اللُّغة العادية فيرى نفسه مدفوعاً بثورة خياله إلى تشكيل علاقات لغوية خاصة يؤلفها بخياله المبدع ليعبر عن رؤية خاصة به[2].

ومن أهم المقومات التي تنشأ عليها الصورة عنصر الخيال، ولقد فطن النقاد إلى أهمية الخيال في العمل الشعري فعبر عنه ابن رشيق بقوله: "إذا لَمْ يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استطراق لفظه وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة"[3].

وأرى أن ابن رشيق من النقاد الذين يدعون للتوأمة بين اللفظ والمعنى أي أن الشعر لا بد أن يكون ذو معنى مسكوب في قالب شعري يعكس الجاحظ الذي يرى أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي ولا يحفل كثيراً بها.

١/ الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي: د. جابر عصفور، طبع دار الثقافة، ١٩٧٤م، القاهرة، ص٧.

٢/ الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، علي إبراهيم أبو زيد، ط١، طبع دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، ص٢٤١.

٣/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج١، ص٧٤.

ويقول دكتور عبد القادر القط في رأيه إن الصورة الفنية:

"هي الصورة في الشعر وهي الشكل الفني تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللُّغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة، والجناس، وغيرها من وسائل التعبير الفني"(١).

والصورة الفنية "تحمل طابع الشاعر الخاص، وأصالة الفنان في تصويرها لمشاعره وأفكاره وتأثرها بموضوعها في اختيار الكلمات المشكلة وصور البيان الملائمة للموضوع"(٢).

ومهما يكن من اختلاف حول مفهوم الصورة فهي:

"أداة الشاعر الفنية يعبر بها عن تجربته الذاتية، ويرسم مشاهد من حياته وواقعه، يبتكر بها دلالات جديدة غير مباشرة، يبين بها عالماً متميزاً، يجمع فيها بين عناصر متباعدة في إطار من الانسجام والوحدة"(٣).

فاختار شاعرنا لتشكيل صوره الفنية ألواناً من التشبيهات، وأنماطاً من الاستعارات، ونماذج من الكنايات، وهو لَمْ ينس البديع ليحقق به الجمال والمتعة في اعتدال وتكيف بين الصورة والمتلقي.

١/ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٣٥.

٢/ الصورة الفنية في شعر دعبل: ص٢٤١.

٣/ المرجع السابق: ص٢٤٧.

فشاعرنا أبو الشيص له المقدرة على التحليق والارتفاع بالصورة أو الهبوط بها فنجد في شعره الميل إلى الصنعة الشعرية سواء اللفظية منها أم المعنوية فهو حين يصور فتوة الشباب يصورها بأفراس جامحة تأبى أن تستكين إذا شدها صاحبها بالعنان يقول في ذلك:

أَيام أَفراسُ الشباب جوامحٌ ✻✻ تأَبى أَعنَّتها عَلى الرُواضِ(١)

وهو يصور المشيب تصوير الغاضب الناقم عليه فيؤلف له من الخيال صورة مفزعة قبيحة بلغ بها غاية الجودة وخاصة في تصوير دبيب المشيب على السواد إذ جعله كالعقارب فاستطاع أن يصور حالته النفسية أيضاً يقول:

خَلَعَ الصِبا عَن مَنكبَيهِ مَشيب ✻✻ فَطَوى الذَوائب رأَسهُ المَخضوبُ

نَشَرَ البِلى في عارِضَيَهِ عَقارِباً ✻✻ بيضاً لَهُنَّ عَلى القُرونِ دَبيبُ(٢)

ويصور شاعرنا أبو الشيص أيام شبابه حين كان يحب ويصف حبه بشجرة مورقة خضراء الأغصان ظليلة فيقول:

فَيا عَيشَنا والهَوى مُورِقٌ ✻✻ لَهُ غُصُنٌ أَخضر العُودِ دانِ(٣)

ويصف سواد فوديه بغرابين جاء المشيب فأطارهما:

وَراجَعتُ لّما أَطار الشَبابَ

غُرابان عَن مَفرقي طائرانِ(٤)

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٧.

٢/ المرجع السابق: ص٣٠.

٣/ المرجع السابق: ص١٠٦.

٤/ المرجع السابق: ص١٠٩.

أمَّا صناعة أبي الشيص اللفظية فتتضح إلى جانب صوره الشعرية في قصيدته التي يقول فيها:

أَشاقَكَ والليل مُلقي الجِران

غُرابٌ يَنوحُ عَلى غُصنِ بانِ(1)

والأمثلة على هذا النوع من الصور كثيرة في شعره. والأمثلة أكثر من أن تذكر فإبراهيم الموصلي وهو يصف بداية رحيل النجوم عن السماء وإثقال النعاس على عينيه يقول:

ربما نبهني الإخوان والليل بهيم

حين غارت وتدلت في مهاويها النجوم

ونعاس الليل في عيني كالثاوي المقيم(2)

ومن صور أبي نواس المبتكرة حقاً وصفه للسرور الذي يعم مجلس الشراب بقوله:

في مَجلِسٍ ضَحِكَ السُرورُ بهِ ٭٭ عَن ناجِذَيهِ وَحَلَّتِ الخَمرُ(3)

فكأنه جسَّم معنى السرور وجعله إنساناً يقهقه حتى يظهر ناجذاه خالياً من هموم الحياة طليقاً إلاَّ من إسار الخمر. ولو رحت أعد تلك التشبيهات التي أخذها الشعراء العباسيون من الطبيعة التي تحيط بهم لَما استطعت إلى ذلك سبيلاً لأنَّ الشعراء في العصر العباسي توسعوا في هذا المجال توسعاً لَمْ يشهده الشعر العربي من قبل.

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٥.

٢/ الأغاني: ج٥، ص١٥٣.

٣/ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ج٢٠، ص٥٨٤.

وقصارى القول أن الصورة الفنية عند أبي الشيص تمثل البعد عن دلالات الصورة الحقيقية وعلاقاتها القريبة إلى دلالات وعلائق أخرى فيها كثير من ضروب الخيال والتوهم الدقيق الذي يرتبط بآثار العصر الحضارية أو النفسية.

المبحث الأول
التشبيه وأثره في تشكيل الصورة

التشبيه هو بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدَّرة(١).

والتشبيه يلعب دوراً بارزاً في تحقيق العلاقة بين الأشياء المتشابهة فالشاعر كما يقول دكتور علي أبو زيد: "يبذل من جهده الفني قدراً عظيماً لتحقيق العلاقة بين عناصر الواقع والفن وقد تكون هذه العلاقة كامنة غير ظاهرة فيتوسل بالتشبيه الذي غالباً ما يعتمد على المدركات الحسية في تشكيله ليظهر علاقة جديدة بين طرفين يشتركان في أمور وصفات وتحقيقاً للمتعة والفائدة التي يهدف إليها الشاعر متوخياً التناسق بين طرفي صورته التشبيهية ومراعياً توافر التوافق الشكلي بينهما ليجعل بين الأشياء المتباعدة مناسبة مشتركة فيرى الشاعر بحسه الفني أبعد ما يرى وأدق ما يلحظ مستنداً على قدرته في إدراك التشبيهات ومعرفة أوجه الاتفاق بين الأمور المتباعدة"(٢).

ويكتسب التشبيه مكانته بين فنون التصوير البياني من حيث إحداثه الأثر الأكبر في النفس لِما يشتمل عليه من عناصر الصورة التي تخاطب الوجدان وتحمل في طياتها للعمل الفني ما يقوم مقام البرهان العقلي والحجة المنطقية في العمل(٣).

ويقول ابن قتيبة عن التشبيه: "وليس كل شعر يختار ويحفظ على جودة

١/ قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٨م، ص١٢٢.

٢/ الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي: د. علي إبراهيم أبو زيد، ص٢٥٩.

٣/ شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني: د. رشدي علي حسن، ط١، مؤسسة الرسالة، دار عمار عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ص١٦٦.

اللفظ والمعنى لكنه قد يختار في جهات وأسباب منها الإصابة في التشبيه"[1].

والشعراء متفاوتون في براعة الوصف والتشبيه، فمنهم من كان ذا فوق في هذا المجال. وكان ابن سلام الجمحي يقول: "كان علماؤنا يقولون أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وأحسن أهل الإسلام ذو الرمة"[2].

إذا رجعنا ننظر في شعر أبو الشيص لنرى كيف ساهم التشبيه عنده في بناء وتشكيل الصورة الفنية فإننا نلحظ أن شاعرنا قد تميزت تشبيهاته بالبساطة، إلا إنها لَمْ تخلُ من دقة وجمال، فهو يأخذ عناصر صوره مِمَّا تقع عليه أعين الناس جميعاً ويعقد المشابهة بين الأشياء ذات الدلالة على المعنى فعندما أراد أن يصف الخمر فقد شبهها بالسرج في الزجاجة إذا صبها في الزجاجة الوصفاء يقول:

هيَ كالسُرجِ في الزُجاجِ إِذا ما

صَبَّها في الزُجاجةِ الوُصَفاءُ[3]

فشاعرنا يتصور الخمر عندما يديرها السقاة على جماعة الشرب فهو قد شبه لون الخرقة التي توضع على فم الإبريق بلون الخمر، يقول:

يَسعى بإبريق كأنَّ فِدامَهُ

مِن لَونِها في عُصفرٍ مَغموسُ[4]

ومن بديع تشبيهاته في الخمر أيضاً يقول:

١/ الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ص١٠.

٢/ الأغاني: لأبي فرج الأصفهاني: ط الساس، د.ت، ج١٦، ص١٠٩.

٣/ ديوان أبي الشيص: ص٢٧.

٤/ المرجع السابق: ص٧٣.

قَد سَقَتني والليلُ قَد فَتَق الصُبح ** بكأَسـين ظَبيـة حَـوراءُ
عَـن بَنـانٍ كأَنَّهـا قُضُـبُ الفِضَّـةِ ** حنّـى أَطرافهـا الحِنّـاءُ[1]

فهو يشبه ساقيته الجميلة بأن لها أنامل كأنها قضب الفضة وهي مخضوبة بالحناء. فهي صورة على بساطتها قد أوضحت المعنى الذي قصده.

ومن روائع تشبيهاته في الخمر أيضاً يصورها عندما تعبث برأس صاحبها وتسيطر عليه يقول:

عقـلَ الزجـاجُ لِسـانَهُ وَتخاذَلَـت ** رِجـلاهُ فَهـو كأَنَّـهُ مَطسـوسُ
سَـطَتِ العُقـارُ بِـهِ فـراحَ كأَنَّمـا ** مجَّ الـرَدى في كأَسِـهِ الفاعوسُ[2]

فشاعرنا شبه شارب الخمر عندما تتمكن منه وتسيطر عليه كأنه المطعون طعنة نجلاء وأيضاً فهو يشبه سريان الخمر في رأس شاربها كأنما مجَّ في رأسه سم الحية أي لا يستطيع التحرك.

ومن تشبيهاته في الخمر أيضاً:

عَجـوز نَسَـج المـاءُ ** لَهـا طَوقـاً مِـنَ الشَـذرِ
كـأَنَّ الـذَهب الأَحمـرُ ** في حافاتهـا يَجـري[3]

فهو يشبه الخمر في حافات الكأس بقطع الذهب الأحمر الذي يجري على طرف الكأس.

١/ ديوان أبي الشيص: ص٢٨.

٢/ المرجع السابق: ص٧٤.

٣/ المرجع السابق: ص٦٢.

وفي وصفه وتشبيهه الدمع إذا امتزج بالدم يقول:

لَهون عَن الإِخوانِ إِذ سَفَرِ الضُحى ** وَفي كَبِدي مِن حَرِّهِنَّ حَريقُ

مَزَجتُ دَماً بِالدَمعِ حَتّى كَأَنَّما ** يُذابُ بِعَيني لُؤلُؤٌ وَعَقيقُ [1]

فهو يشبه الدموع عند بكاءه عندما تمتزج بالدم فالدموع كأنها اللؤلؤ والدم كأنه العقيق. وأتى بالتشبيه البليغ في قوله:

لَياليَ تَسعى بالمدامَةِ بَينَنا ** بَناتُ النَصارى في قلائِدِها الصُلُب [2]

وقد أتى بالتشبيه الواحد بغير كاف كقوله في عتاب صديق له:

فَقَد جَرى الحبُّ مِني ** مَجرى دَمي في عُروقي [3]

فقد كانت لصاحبه مكانة عنده فهو يشبه مكانته عنده بالدم الذي يجري في عروقه.

وأيضاً من تشبيهاته في الغزل يقول:

والجِيدُ منها جيدُ جازئةٍ ** تعطو إذا ما طالها المَردُ [4]

فهو يشبه جيد محبوبته بجيد الجازئة أي الظبية الأم الوالدة حديثاً لا تريد أن تترك طفلها فتبالغ في مد عنقها.

ومن تشبيهاته في الغزل أيضاً يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف في قوله:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٨.

٢/ المرجع السابق: ص٣٨.

٣/ المرجع السابق: ص٩١.

٤/ المرجع السابق: ص١٣٩.

لَهــا عَــن صِــلَةَ البــيضِ ** نَــذيرٌ لِــذَوي العَقــلِ
مَصــــــابيحُ مَشــــــيبٍ ** وَسَمَتني سِمَةَ الكَهــلِ [1]

فهو يشبه المشيب بالمصابيح.

ومن روائع تشبيهاته في التباكي والتظاهر بالشيء دون حقيقته قال:

قَميصــك والــدُموع تَجــول فيــهِ ** وَقلبكَ لَيسَ بِالقَلبِ الكَئيب
نَظير قَميص يوسُفَ حينَ جاؤوا ** عَلــى أَلبابــهِ بِــدمٍ كَــذوب [2]

كأنما يقول له ويشبه عيونه بقميص يوسف وأنت لا تشبه يوسف وفي تشبيهه لمحبوبته يتمنى أن يطول بقائها وأن لا تكون زيارة سريعة لا تعدو أن تكون كاقتباس النار يقول:

يا حبَّذا الزَور الَذي زارا ** كأَنَّهُ مُقتَبسٌ نارا[3]

ومن بديع تشبيهاته في الغزل وهو يشبه محبوبته في بياض وجهها ونضارته مثل الصبح وفي سواد شعرها كالليل يقول:

الوَجهُ مِثلُ الصُبحِ مبيضٌ ** والفَرعُ مِثلَ اللَيلِ مُسوَدُّ[4]

ومن روائع تشبيهه في الغزل قوله:

فَتَناثَرَت دَرَرُ الشُؤون عَلى ** خَدّي كَما يَتَناثَرُ العِقدُ[5]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٩٩.
٢/ المرجع السابق: ص٤٣.
٣/ المرجع السابق: ص٥٧.
٤/ المرجع السابق: ص١٣٨.
٥/ المرجع السابق: ص١٣٧.

شبه تناثر الدموع وتوزيعها على خدود المحبوبة بتناثر العقد.

ومن تنبيهاته في الغزل أيضاً فهو يصف المحبوبة بأن لها أسنان مستوية وهي تجيل مسواك الأراك على ريقها كأنه الشهد يقول:

وَتجيلُ مِسواك الأراك عَلى ** رَتلٍ كأنَّ رُضابه الشُّهدُ[1]

وكان أبو الشيص كثيراً ما يلجأ إلى توالي التشبيهات إلى المشبه الواحد يقول في مدحه لعقبة بن الأشعث الخزاعي:

بَحــــرٌ يَلــــوذ المُعتَفــــونَ بنَيلــــه ** فَعم الجَـداول مُـترع الأَحـواضِ

غَيــث تَوشَّــحتِ الريــاض عِهــاده ** لَيــثٌ يَطـوفُ بغابَــةٍ وَعِيــاضِ[2]

فهو كالبحر في جوده وعطاءه وهو كالمطر في سقيه وكرمه وكالأسد في شجاعته وقوته.

وعلى تشبيه الشيء بالشيء، قول شاعرنا:

وصــاحبٍ كــان لــي وكنــت لــه ** أشــفق مــن والــد علــى ولــد

كنــا كســاقٍ تســعى بهــا قــدم ** أو كـذراعٍ نيطـت علـى عضـد[3]

ويتضح من عرضنا لصور أبو الشيص التشبيهية أن الجــزء الأكــبر مــن تشبيهاته واضحة ليس فيها تعقيد ونلحظ أنه كثيراً ما كان يتكئ على استخدام الحرف (كأن) والتشبيه بالفعل وبالاسم.

وإذا كنا نعرف أن التشبيه ينقسم إلى أنواع باعتبار الأداة فــإن شــاعرنا

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٣٨.

٢/ المرجع السابق: ص٧٨.

٣/ المرجع السابق: ص٥٢.

استعمل في صوره التشبيهية كل أنواع أدوات التشبيه مثل: الكاف، كأن، مثل، نظير. وكان كثيراً ما يلجأ إلى توالي التشبيهات للمشبه الواحد كقوله في مـــدح عقبة بن الأشعث الخزاعي هو: بحر، غيث، ليث.

فهو دائماً في تشبيهاته يعطينا صورة حية تدل على حاسته الفنيـــة وقـــد كانت غالب صوره التشبيهية من ثلاثة ينابيع هامة هي الطبيعة، المرأة، والخمـــر. وكان في أكثر صوره يمزج بين هذه العناصر ويصهرها ويذوبها في بوتقة واحدة. فجاءت صوره التشبيهية لوحة زاهية الألوان زاخرة بالحركة.

إن شاعرنا أبو الشيص عبَّر وأجاد حتى بدت صورته مميزة بمعالمها الخاصة فحملت الكثير من طابع الشاعر الفني المتطور لَمْ تكن أخيلة الشاعر وصوره مجرد وسيلة لتوضيح ما بين الأشياء من تشابه ولكنها كانت موحية بما يريد الشـــاعر نقله من أفكار ولَمْ تقتصر الصورة التشبيهية عنده على التشبيه فقط كعنصر من عناصر الصورة الفنية بل نجده توسل بالتشبيه إلى مرحلة أنضج وأعمق فنياً حيث راح يتوسل بالاستعارة في تشكيل صورته الفنية.

المبحث الثاني
الاستعارة وأثرها في تشكيل الصورة

يقول الجرجاني في تعريف الاستعارة: "فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وهي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللُّغة وهي نوعان:

تصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

ومكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه"(١).

إذا كان بعض النقاد القدماء يفضلون التشبيه عن الاستعارة لأنَّ عناصر الواقع الخارجي تبقى واضحة فيه لا تندمج في كيان واحد كما في الاستعارة فإن البعض الآخر كعبد القاهر الجرجاني "يرى الاستعارة أعظم أدوات رسم الصورة لمقدرتها على تصوير الأحاسيس الداخلية والاستعارة من العملية الشعرية كالنحو من اللُّغة فكلما اطردت اللُّغة قبل أن يعرف متكلموها القواعد ويفطنوا على وجودها، كذلك صور الشعراء الاستعارة بفطرتهم دون معرفة نظرية ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها، ولهذا جاءت معظم الاستعارات القديمة صادقة لأنَّ ملكة الشاعر انتزعها من طبائع الأشياء أو على الأصح لأنَّ الأشياء أملتها على الشعراء دون أن يصنعوا هم شيئاً"(٢).

ومن كل ما سبق يتضح لنا كل الوضوح ما للاستعارة من مكانة أدبية

١/ أسرار البلاغة: الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجة، ط٢، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، ج١، ص٢٢.

٢/ النقد المنهجي عند العرب: د. محمد مندور، ط٢، دار النهضة، مصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٤٩.

مرموقة من بين أدوات التصوير كالتشبيه والكناية.

الاستعارة في شعر أبو الشيص:

إذا أخذنا ننظر في أسلوب الاستعارة في شعر أبو الشيص لنرى كيف ساهمت الاستعارة في بناء صوره الفنية فنجد الاستعارة تأتي في مرتبة تلي مرتبة التشبيه كما نجد أن شعره قد حفل بكل الاستعارات من تصريحية ومكنية وغيرهما ولكن نلاحظ أن الاستعارة المكنية كانت الأكثر وروداً في شعره والأقوى أثر في تشكيل صوره الفنية من بقية الأنماط الأخرى ولعل ذلك لِما تتسم به الاستعارة المكنية بخاصيتين هما التشخيص والتجسيم.

وللاستعارة دور كبير في تشكيل الصورة الفنية في شعر أبو الشيص حيث استطاع بواسطتها أن يحول كثيراً من المعنويات إلى صورة محسوسة واختصارها في شكل جميل ومن هذه الصور صورة دبيب المشيب على السواد إذ جعله كالعقارب.

نَشَرَ البِلى في عارِضيَهِ عَقارِباً * * بيضاً لَهُنَّ عَلى القُرونِ دَبيبُ[1]

فقد استعار للمشيب العقارب في تصويره لدبيب المشيب على السواد إذ جعله كالعقارب.

ومن صوره في الاستعارة قوله:

شماليلَ يُصافِحنَ * * مُتونَ الصَخرِ بالصَخرِ[2]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٠.

٢/ المرجع السابق: ص٦٢.

في هذا البيت شخص الجمال السريعة وشبهها بإنسان يصافح فالاستعارة مكنية. ومن استعاراته قوله:

وَلَربّما جَرَّ الصَبّا لي ذَيلَهُ ** فيهِ وَفيهِ مأَلَفٌ وأَنيسُ(١)

فهو قد شبه الصبا بحيوان له ذيل لكنه حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذيل والاستعارة مكنية.

ومن بديع استعاراته:

وَصريع كأس بِتُّ أَرقبه وَقَد ** نَهشَتَهُ مِن أَفعى المدام كئوسُ(٢)

شبه ما يفعل الخمر بصاحبه من سكر بما يفعله سم الحية من اللدغ بجامع الفتور والإعياء في كل على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن استعاراته:

إِلى أَن تَحوّل عَنها الصِبا ** وأَهدى الفطامَ لَها المُرضعانِ(٣)

شبه الفطام بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو التهادي على سبيل الاستعارة المكنية.

يقول في بديع استعاراته:

فأَقصَرَت لَمّا نَهاني المَشيب

وأَقصَر عَن عَذليَ العاذلانِ(٤)

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧١.

٢/ المرجع السابق: ص٧٣.

٣/ المرجع السابق: ص١٠٧.

٤/ المرجع السابق: ص١٠٨.

فقد شبه المشيب بإنسان واعظ وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النهي على سبيل الاستعارة المكنية، ومن تصويره قوله:

فَقُلتُ كَذَلِكَ مَن عَضَّهُ

مِنَ الدَهرِ ناباهُ والمخلبانِ[1]

فهو يصور ما يحدثه الدهر من مصائب جاعلاً من الدهر حيواناً مفترساً له نواجذ ومخالب وأضراس والاستعارة مكنية فقد حذف الحيوان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو العض.

ومن بديع الاستعارات قوله:

وَإِعمال بَناتُ الريح ** في المَهمَه والقَفرِ[2]

حيث جعل أو استعار للريح بنات.

ومن تصويره قوله:

تَخشَعُ شَمسُ النَهارِ طالِعةً

حينَ تَراه وَيَخشَعُ القَمَرُ[3]

فهو قد شبه الشمس والقمر بإنسان بجامع الخجل وعدم الظهور في كلٍ فالاستعارة تصريحية.

ومن بديع استعاراته يقول في الغزل:

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٩.

٢/ المرجع السابق: ص٦٢.

٣/ المرجع السابق: ص٥٨.

دَعَتني جُفُونُك حَتى عَشِقتُ

وَما كُنتُ مِن قَبلِها أَعشَقُ[1]

فهو يصور جمال الجفون فهي التي دفعته لهذا العشق فقد شبه الجفون بإنسان بجامع تقديم الدعوة في كلٍ والاستعارة تصريحية يقول أبو الشيص في استعارة من مشهور غزله:

وَقَفَ الهَوى بي حَيثُ أَنتِ

فَليسَ لي مُتأَخَّرٌ عَنهُ وَلا مُتَقدَّمُ[2]

فهو قد استعار الوقوف للهوى وشبهه بالسلطان أو الحاكم بجامع القدرة على المنع في كلٍّ، على سبيل الاستعارة التصريحية. ومن استعاراته في بكاء الأطلال قوله:

مِن طُولِ ما يَبكي الغَمام عَلى

عَرَصاتِها وَيُقَهقِه الرَعدُ[3]

فقد جعل الرعد إنساناً يقهقه وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه هو الضحك على سبيل الاستعارة المكنية، وأيضاً في البيت استعارة أخرى شبه المطر بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه والاستعارة مكنية.

ومن استعاراته قوله:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٩٠.

٢/ المرجع السابق: ص١٠١.

٣/ المرجع السابق: ص١٣٦.

فَشابَت نَواصي الدُجى وآنفَرى

عَن الصُبحِ سِربال ليل التَمامِ[1]

فهو قد جعل للدجى نواص وشبه الدجى أو الظلام بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشيب والاستعارة مكنية.

جاءت هذه الاستعارات قوية متمكنة تدل على فطنة شاعرنا أبو الشيص ولَمْ يقتصر شعره على التشبيه والاستعارة بل ظهرت الكناية.

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٣.

المبحث الثالث
الكناية وأثرها في تشكيل الصورة

المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللُّغة ولكنه يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد يريدون طويل القامة. وفي المرأة: نؤوم الضحى والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها. فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى، ثم لَمْ يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر، من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟. وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؛ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى[1].

الكناية في شعر أبي الشيص:

إذا عدنا ننظر في أسلوب الكناية في شعر أبو الشيص لنتبين كيف كان دورها في بناء الصورة الفنية عنده، فإننا نجد أن الكناية عنده لَمْ يتوافر لها ما توافر للتشبيه والاستعارة، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نستخرج صوراً رائعة من صور الكناية في شعره.

ومن الكناية يريد شاعرنا أن يوضح لنا طول الزمن في قوله:

رَبيبةُ أَحقابٍ جَلا الدَهرُ وَجهَها ** فَليسَ بها إلا تلألُؤَها نَدَب[2]

ويصور الناقة بأنها واسعة الجنبين ويكني بذلك ويقول:

١/ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، المطبعة العربية، ص٥٥.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٣٥.

مجفّرة الجَنبَين جَوفاء جَونة

نَبيلة مَجرى العَرض في ظَهرِها حَدَب(١)

ويُكنِّي عن العفة والطهر بقوله:

عَفيف اللحظ والأَعضاءِ * * في الصَحو وَفي السُكر(٢)

وفي الكناية عن الكبرياء قوله:

رَخو العِنان إِذا ابتَديتُ فَخادِمٌ

وإِذا صَبوتَ إِليهِ فَهوَ جَليسُ(٣)

ومن كناياته في الهلاك والفقر قوله:

اِثنانِ لا تَصبوا النساءُ إِليهما

ذو شيبَةَ وَمُحالِفُ الإِنفاضِ(٤)

وفي الكناية عند انطواء البطن وضمورها ودقة الخصر ورقته قوله:

لَطيفُ الحَشى عبلُ الشَوى مُدمَجُ القَرى

مَريضُ جُفونِ العَينِ في طيِّهِ قبَب(٥)

ويُكنِّي عن الناقة العظيمة وعن مكتنفا الذنب منها بقوله:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٨.

٢/ المرجع السابق: ص٦١.

٣/ المرجع السابق: ص٧٣.

٤/ المرجع السابق: ص٧٦.

٥/ المرجع السابق: ص٣٥؛ الشوى: الأطراف؛ القرى: الظهر؛ القبب: دقة الخصر وضمور البطن.

جَموحُ الصَلا موَّارةُ الصَدرِ جَسرَةٌ ** تَكادُ مِن الإِغراق في السيرِ تَلتَهب[1]

ويكني عن سمن الناقة بقوله:

مُرَقَّقَةِ الأَخفافِ صُمٌّ عِظامُها ** شَديدَة طيِّ الصُّلب مَعصوبَةُ العَصَب[2]

ويكني عن صفة البكور بقوله:

وَقَد أَغدو وَعين الشمس ** في أَثوابهَا الصُّفر[3]

ويتحدث شاعرنا عن الجود والكرم في مدحه لعقبة بن الأشعث الخزاعي مستعملاً أسلوب الكناية في قوله:

بَحرٌ يَلوذ الُمعتَفونَ بنَيله ** فَعم الجَداول مُترعِ الأَحواضِ[4]

وعنه أيضاً يقول في الكناية عن فروسية الممدوح وشجاعته:

ثَبت المَقام إِذا التَوى بعدّوه ** لَم يَخشَ مِن زَلل وَلا إِدحاضِ[5]

وفي الكناية عن صفة قتله الأعداءِ ووصفه بالشجاعة قوله:

وَمشمّر لِلمَوتِ ذَيلَ قَميصِهِ ** قاني القَناة إِلى الرَدى خوّاضِ[6]

ويصور الجود والكرم أيضاً بأسلوب الكناية يقول:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٧.

٢/ المرجع السابق: ص٣٨.

٣/ المرجع السابق: ص٦٠.

٤/ المرجع السابق: ص٧٨.

٥/ المرجع السابق: ص٧٨.

٦/ المرجع السابق: ص٧٨.

لأَبي مُحَمَّد المُرَجّى راحَتَا ** مَلكٍ إلِى أَعلى العلى نهّاضِ[1]

ويقول في الكناية عن المشاغبة واللهو:

غُلامٌ صَغيرٌ (أَخو شِرَّةٍ) ** يَطيرُ مَعي لِلهَوى طائِرانِ[2]

فهو قد عاش أيامه في الشباب كما عاش أيامه في المشيب وفي الكناية عن التبختر وصفة الكبرياء قوله:

جَرور الإزارِ خَليعُ العِذار ** عليَّ لِعَهدِ الصِبا بُردَتانِ[3]

وأيضاً كناية عن صفة التهتك أي المتهتك الذي عاش حياته ومن جيد كناياته في العطاء والبذل قوله:

إِلى مَلِكٍ مِن بَني هاشمٍ ** كَريم الضَرائِبِ سبط البنانِ[4]

ويكني عن صفة اللون الضارب إلى الحمرة أو عن الرائحة الزكية يقول:

وَكأنَّما سُقيَت تَرائِبُها ** والنَحرُ ماء الحسن إذ تَبدو[5]

ويكني عن كبر ثدي المحبوبة واستدارته وبياضه في قوله:

وَبصَدرِها حُقّان خِلتُهما ** كافورتينِ عَلاهُما نَدُّ[6]

ويكني عن المرأة من ذلك قوله:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٨.

٢/ المرجع السابق: ص١٠٨.

٣/ المرجع السابق: ص١٠٨.

٤/ المرجع السابق: ص١١٠.

٥/ المرجع السابق: ص١٣٩.

٦/ المرجع السابق: ص١٣٩

وَأَبرَزَ الخِدر مِن ثنَيِيه بَيضته ** وأَعجل الرَوع نَصل السَيف يُختَرطُ[1]

وبيضة الخدر كناية عن المرأة حيث كنى عن المرأة ببيضة الخدر وفي هـــذا كأن شاعرنا يحتذي الشعراء السابقين في كناياتهم عن المرأة كما قال امرؤ القيس:

وَبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها ** تَمَتَّعتُ مِن لَهوٍ بها غَيرَ مُعجَلِ[2]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٢.

٢/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج١، ٢٠، ص٣١٢.

المبحث الرابع
اللُّغة والأسلوب

أولاً- اللغة:

يقال عن الشاعر البليغ أنه هو الشاعر الذي نعرفه من كلامه وإن لَمْ يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ومتى ما عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما يرتضيه وما ينكره وما يحرك طبعه وفكره أو يمر بهما في غير اكتراث فقد بدت لنا حقيقة جلية سافرة وكان لسان الحال فيها بحق أصدق من لسان المقال. واللُّغة على عمومها أولى أن يقال فيها هذا الذي يقال عن الشاعر البليغ. لأنَّ اللُّغة قوام التعبير الناطق بين جميع المتكلمين بها فإن لَمْ يعرف منها حقائق أحوالهم فما هي بأداة وافية بوسائل التعريف[١]. ولغة الشعر وألفاظه يتوارثها الشعراء على مر الأجيال يصوغون فيها إنتاجهم الشعري ويصورون بيئتهم الطبيعية وأنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأنَّ الشعر صدى للبيئة التي يعيش فيها فبيئة الصحراء تزود الشعر بأسماء مواقعها ونباتها، وحيواناها، أمَّا البيئة الزراعية فتزود الشعر بأسماء جبالها، ووديانها، وسهولها الخصبة، وأشجارها، وأزهارها. ومِمَّا لا شك فيه أن اللُّغة العربية ككل اللغات الحية تتأثر وتؤثر في اللغات الأخرى فتأخذ منها بعض ألفاظها وتمدها ببعض الألفاظ[٢].

فكان شاعرنا أبو الشيص يحرص على أن تكون لغة شعره هي لغة الحياة اليومية نفسها، أو على الأقل أن تكون قريبة منها. فكان نظم الشعر عنده أهون من شرب الماء. والسبب في ذلك أنه لَمْ يكن مضطر إلى اصطناع لغة شعرية

١/ اللُّغة الشاعرة: عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية، بلا تاريخ، ص٦٠.

٢/ شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني: د. رشدي علي حسن، ص١٩٥.

عالية تغاير اللُّغة الشائعة في مجتمعه فيصطدم إلهامه عند ذاك بعقبة أداء تجعل نظمه بطيئاً. ولَمْ يكن مضطر إلى التأنق في ألفاظه والتروي فيها مثلما كان يفعل بعض الشعراء المتكلفين في عصرهم أمثال زهير والحطيئة وغيرهما في الجاهلية مِمَّا أطلق عليهم اسم عبيد الشعر لَمْ يكن مضطر إلى شيء من هذا كله لذلك كانت تنثال عليه الأشعار في سهولة وبساطة تعبر عن أفكاره مباشرة بلا تعقيد وتؤدي هذه المعاني المباشرة ألفاظ سهلة موحية قريبة من لغة الحياة اليومية أو هي بالفعل منها، وسرعان ما أذيعت هذه الأشعار وأقبل الناس عليها في سهولة ويسر وتصبح جزءاً من ثقافته ومرآة تنعكس عليها أفكاره وعواطفه وهو الذي يقول عنه الأصفهاني: "كان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان"(١). كما في قوله من سهولة الألفاظ يقول:

يَقولُ والسَوطُ عَلى كَفّهِ ** قَد حَزَّ في جِلدَتِها حَزّا
وَهيَ عَلى السُلّمِ مَشدودة ** وأَنت أَيضاً فاسرقي الخُبزا (٢)

ولغة أبو الشيص تتميز بالطلاقة والوضوح ولكن هناك بعض الألفاظ التي يشتم منها رائحة الغرابة ولكنها قليلة جداً مثل كلمة الخشاشة في قوله:

وَلَم يدم مِن جَذب الخشاشة أَنفها ** وَلا خانَها رسم المناسِبِ والنَقَب
مُرَقَّقَةِ الأَخفافِ صُمٌّ عِظامُها ** شَديدَة طيِّ الصُّلب مَعصوبَةُ العَصَب
تَرامي بها الخلجانُ مِن كُلِّ جانبٍ ** إِلى متن مقتِّر المسافة مُنجَذب (٣)

١/ الأغاني: ج١٥، ص١٠٤.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٦٧.

٣/ المرجع السابق: ص٣٨.

والخشاشة تعني ما تدخل في عظم أنف البعير.

كذلك استعمل كلمات أعجمية وفارسية مثل الدملوج، ديازجة في قوله:

لَولا التَمَنطُق والسوار مَعاً ** والحِجلُ والدُملوج في العَضدِ[١]

ونجد بديوان شاعرنا بعض الألفاظ البدوية أي المتوارثة عن الشعراء الأقدمين مثل لفظ السعد والنحس في قوله:

جَرَت جوارِ بالسَعدِ والنَحسِ ** فَنحنُ في وَحشَةٍ وَفي أُنس[٢]

وأيضاً من الألفاظ البدوية المتوارثة في الدعاء بعدم السقيا في قوله:

بَغدادُ بعداً لا سَقى ** ساحاتُها صَوبُ السِحاب[٣]

وأيضاً في معجم شاعرنا الشعري كثيراً من أسماء الأماكن مثل: بغداد، الشام، اليمن، نجد، تهامة، في قوله:

تلقي شآمية يَمَانِية ** لَهما بموْرِ تُرابهَا سَرْدُ[٤]

كما استعمل كثير من مفردات الحرب والقتال والفروسية مثل: السيف، النصل، الرمح، السهام، القناة، الغمد، الثقاف، السنان، في مثل قوله:

ختَلتهُ المَنون بَعدَ احتيالٍ ** بَينَ صَفَّين مِنَ قَنىً وَنِصالِ[٥]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥٣.

٢/ المرجع السابق: ص٦٨.

٣/ المرجع السابق: ص٤٠.

٤/ المرجع السابق: ص١٣٦.

٥/ المرجع السابق: ص٩٣.

واستعمل شاعرنا ألفاظ الطبيعة وكلماتها السماوية والأرضية ففي الطبيعة الأرضية يردد أسماء البساتين، والرياض، والغدير. وهو ما ينفك يردد كذلك أسماء الأزهار والورود مثل النسرين، الياسمين، والريحان، مثل قوله:

يا مَن تَحلّى بريَحان يُنادِمُهُ ** مِن عِطرِ وَردٍ وَخَيريٍّ وَنَسرينِ
وَياسِمينٍ وَعُودٍ ما يُغيّرُهُ ** ما كانَ أَحسنَ ذا لَو لَم يَكُن دوني (١)

وفي الطبيعة السماوية وردت ألفاظ مثل: السحاب، البروق، الرعود، الغيث، كما في قوله:

وَخَميس يَلفُّهُ في خَميسٍ ** في سَحابٍ مِن الرَدى هَطّالِ(٢)

وجاءت ألفاظ مثل: الشمس، الكواكب، البدر، القمر، في قوله:

طَبختها الشَعرى العبور وَحثَّت ** نارُها بِالكواكبِ الجَوزاءُ(٣)

وقوله:

تَخشَعُ شَمسُ النَهارِ طالِعةً ** حينَ تَراه وَيَخشَعُ القَمَرُ(٤)

إلى جانب ذلك جاءت ألفاظ تمتاز بالجزالة والفحولة وقوة الجرس وكانت دليلاً على تأثير الشاعر بالأساليب القديمة والمحافظة عليها ولاسيما في حديثه عن الصحراء مثل ألفاظ: المهامه، القفار، الآل، مثل قوله:

وَإِعمال بَناتُ الريح ** في المَهمَه والقَفرِ(٥)

١/ ديوان أبي الشيص: ص١١٣.
٢/ المرجع السابق: ص٩٤.
٣/ المرجع السابق: ص٢٧.
٤/ المرجع السابق: ص٥٧.
٥/ المرجع السابق: ص٦٢.

وأيضاً وردت ألفاظ تدل على الصلابة والخشونة ولاسيما في حديثه عن الناقة وأوصافها مثل: الهجان، عبل الشوى، سناد، حسرة، رسلة، مذمومة الذنب، مجفرة الجنبين، في قوله:

عَرِيَضةٌ زَورَ الصَدرِ دَهماء رَسلة ** سِنادٌ خَليعُ الرأَس مَزمومة الذَنَب (١)

مجفّرة الجَنبَين جَوفاء جَونة ** نَبيلة مَجرى العَرض في ظَهرِها حَدَب (٢)

إلى جانب هذه الألفاظ أتت ألفاظ تدل على الرقة والترف وخاصة في حديثه عن المجوهرات، والأحجار الكريمة مثل: الذهب، الدر، الفضة، اللؤلؤ، العقيق، الجمان، مثل قوله:

لَم تَنصفي يا سميّةَ الذَّهَب

تتلفُ نَفسي وأَنتِ في لَعِبِ(٣)

وفي قوله:

كأَنَّما أَقداحنا فِضَّةٌ ** قَد بُطِنَّت بِالذَهبِ الأَحمر(٤)

وفي قوله:

مَزَجتُ دَماً بِالدّمع حَتى كَأَنَّما

يُذابُ بعَيني لُؤلُؤٌ وَعَقيقُ(٥)

ومن الأشياء التي تدل على الترف أيضاً ألفاظ العطور مثل المسك، والزعفران، والند، والعنبر، والكافور، في قوله:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٧.

٢/ المرجع السابق: ص٣٨.

٣/ المرجع السابق: ص٤٢.

٤/ المرجع السابق: ص٦٥.

٥/ المرجع السابق: ص٨٨.

تَمجُّ مِن أَقداحِنا قَهوةٌ ** تَضوع بالمِسكِ وَبالعَنبَر[1]

ومثل قوله:

عَجوز غذا المِسكُ أصداغها ** مُضمَّخة الجلدِ بالزعفَرانِ[2]

ومنها ألفاظ أوصاف المرأة والألفاظ الغزلية، وهذا المعجم من أغزر معاجم شاعرنا من حيث الكلمات والعبارات الغنية وهو في ذلك مثل معجم ألفاظ الخمر وما يميز (المرأة) كذلك المزاوجة بين القديم والجديد ففي القديم يأتي الحديث عن الأطلال، والرسوم، وفي الحديث يأتي الحديث عن الجواري وساقيات الخمر والقيان، والغلاميات، والظلمات في مثل قوله عن الأطلال:

ربعُ دارٍ مُدَرَّس العَرَصاتِ ** وَطُلول مَمحوَّة الآياتِ[3]

وعن ساقيات الخمر والقيان قوله:

قَد سَقَتني والليلُ قَد فَتَق الصُبح ** بكأَسينِ ظَبية حَوراءُ[4]

كذلك المزاوجة بين الألفاظ الصريحة الحسية والألفاظ العذرية المعنوية مثل: النهد، الكفل، الخصر، الأرداف، الكشح، الخدود، الريق، الجيد، الأعين النجل، المعصمان، الزند، النحر، الفخذ، القد، الخصر، مهفهفة الكشحين، الجفون، ضافي الغدائر، التهذيب، في قوله:

إِذا جِئتُ يُرَقِّعنَ الـ ** ـكوى بالأعيُن النُجل[5]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٦٥.

٢/ المرجع السابق: ص١٠٨.

٣/ المرجع السابق: ص٤٥.

٤/ المرجع السابق: ص٢٨.

٥/ المرجع السابق: ص٩٩.

وفي قوله:

وَعقد نَحر بنَحرٍ ** وَمَزج ريقٍ بريقِ[1]

وفي قوله:

دَعَتني جُفُونُك حَتى عَشِقتُ ** وَما كُنتُ مِن قَبلِها أَعشَقُ[2]

وكثيراً ما يستعمل شاعرنا مثل هذه الألفاظ في شعره. أمَّا الألفاظ المعنوية فهي قليلة إذا ما قورنت بالألفاظ الحسية وقد وردت ألفاظ مثل: الهوى، الحب، والشوق، والصبابة، في قوله:

إذا خَطَراتُ الشَوقِ قَلَّبنَ قَلبه ** شَدَدنَ بأَنفاس شداد المَصاعِدِ
يُذَكِّرهُ خَفضُ الهَوى وَنَعيمُه ** سَوالِفَ أَيامٍ وَليسَ بعائدِ[3]

معجم ألفاظ الخمر ومجالسها وأوقاتها، الخمر خدين نفس الشاعر إلى جانب المرأة والطبيعة وقد مدت معجم شاعرنا الشعري بمادة غزيرة فهي: خمر، صهباء، عُقار، سلاف، مُدام، راح، وشمول، في قوله:

سَطَتِ العُقارُ بِهِ فراحَ كأَنَّما ** مجَّ الرَدى في كأَسِهِ الفاعوسُ[4]

وفي قوله:

لَطيمة مِسك فُتَّ عَنها خِتامُها ** مُعتَّقَة صَهباءُ حيريَّة النَسَبِ[5]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٩١.

٢/ المرجع السابق: ص٩٠.

٣/ المرجع السابق: ص٥٠.

٤/ المرجع السابق: ص٧٤.

٥/ المرجع السابق: ص٣٥.

وهو ما ينفك يردد أسماء آنيتها مثل الكأس: الزق، الدن، القدح، قِدر، في قوله:

إِذا فُرُجاتُ الكأَسِ مِنها تُخيِّلَت

تأَمّلتَ في حافاتِها شُعَل اللَهب(١)

وفي قوله:

كَتَبَ اليهودُ عَلى خَواتِمِ دَنّها

يا دنُّ أَنتَ عَلى الزَمان حَبيسُ(٢)

وهو ما يزال يذكر ويردد أوقات شرابها من صبح وليل في قوله:

أَصَبتُ الُمدام بَريقِ الغمامِ

وَقَد زُرَّ جَيب قَميص الظَلامِ(٣)

ومهما يكن من شيء فإننا نستطيع من خلال تصفحنا لديوان الشاعر أن تقول إنه قد استخدم اللُّغة في درجاتها المختلفة فمن الكلمة الفصيحة الجزلة إلى الكلمة الرشيقة السهلة إلى الكلمة العامية المبتذلة إلى جانب الكلمة المعربة ولكن معظم كلماته وعباراته سهلة رشيقة وقد يحمله التكلف أحياناً إلى أن يتعمد بعض القصائد ويرسل فيها الغريب من اللُّغة وحوش الألفاظ محاكاة للأقدمين من شعر البادية كما نجده يرسل الشعر في أبسط الوجوه وأقل الغايات ولكنك تلمس فيه عبقرية، الفنان وسحر الشاعر، وقلم المصور، فأسمعك شعره السهل الممتع وتلمس روحه الجياشة بأبدع المعاني وأحدث التطورات.

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٥.

٢/ المرجع السابق: ص٧٢.

٣/ المرجع السابق: ص١٠٢.

ثانياً- الأسلوب:

يختلف الأسلوب من شخص لشخص، ومن كاتب لكاتب، ومن شاعر لشاعر، وذلك بحسب البيئة التي يعيش فيها والمجتمع الذي يحيط به وبحسب العوامل النفسية والمكونات الثقافية فالشاعر الذي يعيش في الصحراء يختلف في أسلوبه عن الشاعر الذي يقطن على ضفاف الأنهار والحضر وشاعر العصر العباسي غير شاعر القرن العشرين.

والأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني "بأنه الضرب من النظم والطريقة فيه"[١].

وفي لسان العرب يقال للسطر من النخيل أسلوب. وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب. يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه[٢].

فالأسلوب هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، تشبيهاً أو مجازاً أو كناية، تقريراً أو حِكماً وأمثالاً. فهو الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة، فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقول النابغة:

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فَالسَنَدِ

أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

١/ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص٣٦١.

٢/ لسان العرب: لابن منظور، ص٤٧٣.

ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقول امرؤ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ ** بسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ[1]

فسؤال الطلول كقول شاعرنا أبو الشيص يوجه نداءاً لها:

يا دارُ مالكِ لَيسَ فيكِ أَنيسُ ** إِلا معالم آيُهُنَّ دُروسُ[2]

والذي يعنينا أن الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية ولا يزال هو تعريف الأسلوب إلى يومنا هذا فهو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، ففي الأدب وحده نرى التصرف والاختلاف يكون في صوغ العبارات بين إيجاز، وإطناب، وسهولة، وإغراب، وبساطة، وتعقيد، وجمال، وتنافر، ويكون قبل ذلك في اختيار الأفكار وكيفية ترتيبها ترتيباً منطقياً أو مضطرباً، ووضوحها أو غموضها صحتها أو خطئها ويكون بعد هذا في طريقة التخييل والتصوير.

هل يسلك الكاتب طريقة التشبيه أو الاستعارة أو الكناية وما مقدار ابتكاره في ذلك أو تقليده، فلكل كاتب مذهبه في ذلك أو أسلوبه الخاص فالشيب في رأي المعري:

والشيب أزهار الشباب فماله ** يخفى وحسن الروض في الأزهار؟

١/ الأسلوب: لأحمد الشايب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ط٣، ٤٥١٤٢، ملتزمة النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة، ص٣٤.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٧٠.

وهو في رأي الفرزدق:

تفاريقُ شيبٍ في السوادِ لوامعٌ

وما حُسن ليل ليس فيه نجومُ؟

وهو في رأي شاعرنا أبو الشيص:

خَلَعَ الصِبا عَن مَنكبَيهِ مَشيب ** فَطَوى الذَوائب رأَسهُ المَخضوبُ

نَشَرَ البِلى في عارِضيَهِ عَقارِباً ** بيضاً لَهُنَّ عَلى القُرونِ دَبيبُ

ما كانَ أَنضَرَ عيشَهُ وأَغضَّهُ ** أَيام فَضلُ رِدائِهِ مَسحوبُ [1]

واختلاف أساليب الشعر باختلاف الموضوعات التي يتناولها إذ كان من الملاحظ أن أسلوب الحماسة أو الفخر قوي جليل وأن أسلوب العتاب أو النسيب رقيق جميل، وأسلوب الوصف الطبعي رائع جذاب[2].

فاختلاف درجة الانفعال في القوة وصدق التعبير عنها باللغة، إن الأسلوب نفسه يختلف باختلاف معناه الوجداني فالعبارة التي تصور الغضب أو السخط أقوى من تلك التي تعبر عن الحزن أو الخوف وأن أسلوب الخمريات والنسيب عند شاعرنا أبو الشيص أقوى من أسلوب الرثاء والهجاء، ونجد وصف الطبيعة والمدح متوسطاً، كما أن الوصف العام الذي يتناول كل شيء مختلف حسبما يتناول من وقائع حربية أو أصوات طبيعية أو حوادث هامة فهو صادق على كل هذه الفنون. فهو الذي تخضع له الأساليب الأدبية ولاسيما أساليب الشعر[3].
ونذكر مثالاً يوضح ما ذكر هنا. قال بشار بن برد مفتخراً:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٠.

٢/ الأسلوب: أحمد الشايب، ص٦٥.

٣/ المرجع السابق: ص٦٧.

إذا مـا غَضِـبنا غَضـبَةً مُضَـرِيَّةً ** هَتَكنا حِجابَ الشَمسِ أَو تُمطِرَ الـدَما
إذا مـا أَعَرنـا سَـيِّداً مِـن قَبيلَـةٍ ** ذُرى مِنبَـرٍ صَـلّى عَلَينـا وَسَـلَّما
وَإِنّـا لَقَـومٌ مـا تَـزالُ جِيادُنـا ** تُسـاوِرُ مَلكـاً أَو تُناهِـبُ مَغنَمـا [1]

فأسمعك هذا الصخب العالي الذي يصور الاعتزاز بالقبيل كما يصور العنف والتحفز ويبعث الرهبة في النفوس وذلك هو ما في نفس الشاعر من انفعال طبع العبارة بطابعه فكانت صداه الصادق، وثوبه اللائق، ولغته الطبيعية الجميلة، وبشار نفسه هو القائل ينسب بمن تُدعى (عبدة):

لَـم يَطُـل لَيلـي وَلَكِـن لَـم أَنَـم ** وَنَفى عَنّي الكَرى طَيفٌ أَلَـم
وَإِذا قُلـتُ لَهـا جـودي لَنـا ** خَرَجَت بِالصَمتِ عَن لا وَنَعَم
رَفِّهـي يـا عَبـدَ عَنّـي وَاِعلَمـي ** أَنَّـني يـا عَبـدَ مِـن لَحـمٍ وَدَم [2]

فتحس هنا نفساً متألمة ذليلة تترضى أخرى أقوى منها وأشد فلان الأسلوب لذلك ورق وكأنك ترهب بشاراً وتفر منه أولاً ثم ترق له وتعطف عليه ثانياً، وهو القائل:

هَل تَعلَمينَ وَراءَ الحُبِّ مَنزِلَةً
تُدني إِلَيكِ فَإِنَّ الحُبَّ أَقصاني [3]

وقول شاعرنا أبو الشيص في ذلك مفتخراً:

يـا أَيُّهـا الـدَهرُ أَقصِر عِـن تَنقُّصِـنا ** فَلَستَ مُنتَهِياً عَن غَشمِنا أَبَدا

١/ الأسلوب: أحمد الشايب، ص٦٧.

٢/ المرجع السابق: ص٦٨.

٣/ المرجع السابق: ص٦٨.

أَضـحى سِـنانُ قَنـاتي بَعـدَ حِدَتـه ** مَرَّت بِهِ عَثَراتُ الدَهر فانفصَدا [1]

فأسمعك هذا الصوت العالي الذي يصور الاعتزاز بالنفس وذلك هو ما في نفس شاعرنا من انفعال فكانت لغته الجميلة وثوبه اللائق، وشاعرنا أبو الشيص نفسه هو القائل ينسب:

لَـو كنـتُ أَملـكُ أَن أُفـارِقَ مُهجَـتي ** لَجَعَلـتُ ناظِرهـا عَليـكِ رَقيبـا
حَــذَراً عَليــك وإِنّــني بِــكِ واثِــقٌ ** أَن لا ينال سـوايَ مِنـكِ نَصـيبا [2]

فنحس هنا أيضاً نفساً ذليلة تترضى أقوى منها فرقَّ الأسلوب لذلك فكأنك ترهب شاعرنا وتفر منه أولاً ثم تعطف عليه ثانياً. وإن لشخصية الشاعر تأثيراً قوياً في لون الأسلوب فتضيف إليه مزايا خاصة فوق هذه المزايا الموضوعية العامة فرقة النسيب أو العتاب قد تتوارى خلف قوة الشخصية وجفائها.

إن هذا الاختلاف العام الذي نشعر به في الأساليب يبدو في الكلمات، والصورة، والتراكيب، والعبارات، مع طيف موسيقي عام هو في الأصل من عبقرية الشاعر وموسيقى نفسه الشاعرة[3].

فالعنف أو السخط ينتج الحماسة والتهديد، والشكوى، والهجاء، والإعجاب ينتج المديح والوصف الجميل، والحب ينتج النسيب، والبغض ينتج الهجاء، والحزن ينتج الرثاء والعتاب، والطرب ينتج الفخر والخمريات، ومطلق الانفعال ينتج الوصف العام أو أي فن من الفنون، ويمكننا أن نقول إن هناك أسلوباً قوياً كالحماسة، وأسلوباً رقيقاً كالنسيب والعتاب، وأسلوباً وسطاً

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥١.
٢/ المرجع السابق: ص٤١.
٣/ الأسلوب: أحمد الشايب، ص٦٩.

كالمديح والهجاء، ورابعاً مختلفاً كالوصف[1].

وشاعرنا عندما يصف الخمر في قوله:

إِذا فُرُجـاتُ الكـأَسِ مِنهـا تُخيِّلَـت * * تأَمّلتَ في حافاتِها شُعَل اللَهب
كـأَنَّ اطِّـرادَ المـاءِ في جَنباتِهـا * * تتَّبعُ ماءُ الدُرّ في سُبُكِ الـذَهَب[2]

فشاعرنا قد خلع على شعر الخمر أسلوباً سهلاً في ألفاظه القريبة فأسلوبه في الخمر خالي من الجزالة والبداوة.

وعندما يرثي أحياناً يخرج عن دائرة الأشخاص إلى آفاق أخرى معنوية أو حسية فإذا بنا نجده يرثي عينيه.

وخلاصة القول إن أسلوبه في الرثاء يدلُّ على الفجيعة والكارثة فالجمل رقيقة تصور الجزع وهول المصاب كما في رثاءه لهارون الرشيد يقول:

غَرُبَـت بالمَشـرِق الشَـمسُ * * فَقُـل لِلعَـينِ تَـدمَع
مـا رَأَينـا قَـطّ شَمسـاً * * غَرُبَـت مِـن حَيـثُ تَطلَـع[3]

وعندما يمدح كون أسلوبه في المديح متوسطاً فليس كالنسيب الرقيق ولكنه يخضع للجزالة والسهولة أحياناً والقصد في المعاني والأوصاف كما في مديحه لعقبة بن الأشعث الخزاعي يقول:

وَجنـاح مقصـوص تحيَّـف ريشـهُ * * رَيبُ الزمانِ تَحيُّفَ المِقراضَ

١/ الأسلوب: أحمد الشايب، ص٧١.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٣٥.

٣/ المرجع السابق: ص٨٤.

أَنهَضتَه وَوَصلتَ ريش جناحه ** وَجبرتَه يا جابرَ المُنهاضِ[1]

وبهذا نلاحظ أن الأسلوب عند أبو الشيص ذا عبارة جزلة رقيق المعنى ذا دلالة واضحة صادق التعبير ويظهر لنا ذلك في وصفه للمشيب وفخره وغزله ومديحه ورثاءه ووصفه للخمر أسلوبه بعيد عن الوحشية فيه سلاسة وسهولة.

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٩؛ المنهاض: المنكسر.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الأغراض الشعرية

تمهيد

المبحث الأول

الوصف

المبحث الثاني

الغزل

المبحث الثالث

المديح

المبحث الرابع

الأغراض الشعرية الأخرى

تمهيد

نظم الشعراء في هذا العصر في كل غرض، وجالوا في كل مجال. فنجد الشاعر يستمد موضوعاته من المجتمع الذي يكتنفه والبيئة التي يعيش فيها. وأن أغراض الشعر وفنونه واضحة في أذهان الشعراء والنقاد، فأبو هلال العسكري يرى في تقسيمه لأغراض الشعر "أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار، فأحسن فيه"(١).

يقول قدامة بن جعفر: "إن للشعراء فنوناً من الشعر كثيرة تجمعها في الأصل أصناف أربعة هي: المديح، الهجاء، الحكمة، واللهو. ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون فيكون من المديح: المراثي، والافتخار، والشكر، واللطف في المسألة، وغير ذلك مِمَّا شابهه وقارب معناه ويكون من الهجاء: الذم، والعتب، والاستبطاء، والتأنيب، وما أشبه ذلك وجانسه، ويكون من الحكمة: الأمثال، والتزهيد، والمواعظ، وما شاكل ذلك وكان من نوعه، ويكون من اللهو: الغزل، والطرد، ووصف الخمر، والمجون، وما شابه ذلك وقاربه"(٢).

ولقد طرق أبو الشيص من هذه الأغراض: الوصف، والغزل، والمديح، والرثاء، والعتاب. وهو حسن المدح بارع في وصف الخمر، وتغزل فأكثر وأجاد(٣). ولأبي الشيص غير ما تقدم من فنون الشعر أشعار أُخر في الفخر،

١/ ديوان المعاني: مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص٩١.

٢/ نقد النثر: قدامة بن جعفر، تحقيق د. طه حسين، وعبد الحميد العبادي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٨١-٨٢.

٣/ تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، ج٢، ص١٤٨.

والتحسر، وفي المشيب وذكر الشباب، والحكمة، والهجاء. وإذا نظرنا إلى ديوانه نجد الوصف قد حظي بالنصيب الأوفر وقد برع فيه بخطى واسعة. ففي الوصف تعددت الأغراض وتنوعت فبلغ وصف الخمر حد الذروة ثم انتقل إلى ميـــادين أخرى منها وصف الناقة وسيرها وأحوالها ووصف الإبل، ثم وصف الســـفينة، وصفات البحر، ووصف الغراب والهدهد، ونال الوصف قصب السبق في هـــذا المجال لذلك قدمناه على بقية الأغراض.

المبحث الأول
الوصف

في اللُّغة كلمة عامة تندرج تحتها معانٍ كثيرة لذلك صدق ابن رشيق حين قال: "الشعر كله إلاَّ أقله راجع إلى باب الوصف"[1].

وأصل الوصف في اللُّغة: الكشف والإظهار، يقال: قد وصف الثوب الجسم، إذا نم عليه ولَمْ يستره، وهو من أول أبواب الشعر نشأة في كل زمان ومكان ولكن من الطبيعي أن يتغير لتغير المحسوسات من عصر لعصر ومن بيئة لأخرى، لذلك يُعد من الفنون الشعرية المجددة في العصر العباسي لِما فيها من اتجاهات ومظاهر جديدة منها وصف الحواضر والمدن والقصور العالية والبساتين الفيحاء التي تجلَّت فيها مظاهر الحياة المادية في أجمل صورها وأبهى معانيها لذلك نجد الوصف في العصر العباسي يهتم بهذا الجانب المادي من الحضارة الجديدة ومن ذلك وصف السفن وإذا كان وصف السفن في الشعر الجاهلي والقرن الأول نادراً بالنسبة لأوصاف الصحراء وما فيها من مهام وقفار ووحش وآل فقد كثر في شعر العصر العباسي الأول كثرة ظاهرة إذ نجده في قصائد كثيرة، فبشار بن برد حين يمدح ابن هُبيرة يصف السفينة والبحر قائلاً:

لا تَشتَكي الأَينَ إِذا ما اِنتَحَت ** تُهدى بِهادٍ بَعدَها قُلَّبِ
تَصِرُّ أَحياناً بِسُكّانِها ** صَريرَ بابِ الدارِ في المِذنَبِ[2]

١/ العمدة: ص٢٢٦.

٢/ ديوان بشار بن برد: تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان (بدون طبعة)، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

وقد تبعه في ذلك شاعرنا أبو الشيص حين وصف السفينة وصفاً دقيقاً بجميع أجزائها وطريقة سيرها في قصيدته التي مدح بها عقبة بن الأشعث الخزاعي أمير الرقة ومطلعها:

مَرَت عَينَهُ للشوقِ فالدَمعُ مُنسَكِب ** طُلولُ ديارِ الحَيِّ والحيُّ مُغتَرِب
وَبحرٍ يَحارُ الطَرفُ فيهِ قَطعَتُهُ ** بِمَهنوءة مِن غَيرِ عُرٍّ وَلا جَرب
مُلاحَكَةِ الأَضلاعِ مَحبوكة القَرى ** مُداخِلَةِ الرَاياتِ بالقارِ والخَشَب
موثَّقة الأَلواح لَم يُدم متنَها ** ولا صَفحتيها عَقدُ رَحلٍ وَلا قَتب
يَشقُّ حُبابَ الماءِ حَدُّ جِرانِها ** إِذا ما تَفرَّى عَن مناكِبِها الحَبب
إِذا اعتَلجَت والريحُ في بَطنِ لُجّة ** رأَيتُ عَجاج الموتِ مِن حَولِها يَثِب
تَرامي بِها الخلجانُ مِن كُلِّ جانبٍ ** إِلى متن مقتِّر المسافة مُنجَذب
وَمَثقوبَة الأَخفاف تَدمي أَنوفها ** معرَّقة الأَصلابِ مطويّة القُرُب (١)

والوصف فن يتسع لكل فنون الشعر مديحاً ورثاءً وهجاءً ونسباً وحماسة لأنه هو كشف وإظهار وعرض خواص الموصوف في أسلوب أدبي ولكننا حين نذكر الوصف في مثل هذه الدراسة إنما نريد وصف الطبيعة ساكنة أم متحركة "ولقد وصف الشاعر العربي كل شيء في طبيعته الحية وطبيعته الصامتة فاصطبغت لغته بالصحراء وما فيها من حيوان ونبات وجماد"(٢).

ولقد كانت الطبيعة ولا تزال الميدان الفسيح لقرائح الوصافين والملهم

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٨؛ مرت عينه: مسحتها لتدر الدمع؛ قُشب: جمع قشيب وهو الحديد؛ مهنوءة: التي طليت بالهناء وهو القطران؛ العر: داء يتمعط منه وبر الإبل؛ ملاحكة: للحك والتلاحك: شدة الآم الشيء.

٢/ الأصول الفنية للشعر الجاهلي: د. سعد إسماعيل شلبي، حدائق القبة، ١٩٧٧م، ص٢٣٦.

الأول الذي يمد النفوس الشاعرة بروائع القول وبدائع الوصف ولقد كان للطبيعة المتحركة النصيب الأوفى من هذا الوصف. فلقد أمضى الشعراء في وصف الإبل وأعضاءها، والخيول والوحوش، وأبدعوا في ذلك أيما إبداع كوصف الناقة لطرفة في العصر الجاهلي، وذي الرمة في العصر الأموي، ووصف الخيل لأبي داود الإيادي، والطبيعة الصامتة نالت أيضاً نصيباً وافراً من شعرهم فزعموا لها الحياة وسألوها وارتقبوا منها الجواب، فكان الوقوف على الأطلال سلم يرتقيه كل شاعر في طريق التميز والإبداع وأبو الشيص كشاعر انطلق لسانه بالشعر في وصف ما يحيط به. في وصفه للطبيعة الساكنة كما وصف المتحركة وكانت الإبل قد لفتت نظره فقد وصف الناقة والبعير ووصف أحوالها وسيرها في الصحراء، يقول أبو الشيص في وصفها:

وَليل تَركَب الرَكبان * * في أَجوافِهِ الخُضر
بأَرضٍ تُقطَع الحيرَةُ * * فيها بالقَطا الكُدرِ
تَمَسكت عَلى أَهوالِها * * باللَهِ والصَبرِ
وَإِعمال بَناتُ الريح * * في المَهمَه والقَفرِ
شماليلَ يُصافِحنَ * * مُتونَ الصَخرِ بالصَخرِ
بإيجافِ يَقُدّ الليل * * عَن ناصيةِ الفَجرِ (١)

قد أحسن شاعرنا في وصف الناقة فيقول إنها صبورة على تحمل الرحلة واعتمدت على الله في مصائبها فهو يصفها حين يركب عليها الركبان بالليل وهاهو يشبهها بالطائر الكدري الذي يخالط سواد لونه غبره في سرعتها وفي

١/ ديوان أبي الشيص: ص٦٢؛ المهمه والقفر: الصحراء الواسعة الأطراف؛ الإيجاف: الإسراع؛ الشماليل: الجمال السريعة؛ يقد: يقطع ويشق.

هدايتها ويصف سيرها يقول إنها سريعة في الصحراء الواسعة الأطراف التي لا ماء فيها ولا أنيس وتستطيع أن تقطع المسافات البعيدة في فترة وجيزة.

ويستمر شاعرنا في وصف الإبل الكرام الهجان ويقول أنها رحيبة رحى الزور أي كركرة البعير التي إذا برك أصابت الأرض ويصفها بأنها سبوح اليدين طموح مقدم العنق وأن بها زماماً وبطان يقول:

وَعُجـــتُ إلى جَمــلٍ بــازِلِ ⁂ رَحيبٍ رَحى الزور فحل هَجانِ
سُـبوحُ اليَـدينِ طمـوحِ الجِـرانِ ⁂ غـؤُولٍ لأَنسـاعهِ والبطـانِ
فَعضَّـيت أَعـواد رحلـي بـهِ ⁂ وَنابـاهُ مِـن زَمَـع يَضـربانِ
فَلّمـا اسـتَقلَّ بأَجرانِـهِ ⁂ وَلانَ عَلى السيرِ بَعضَ اللِيانِ
قطَعـتُ بـهِ مِـن بـلادِ الشـآمِ ⁂ خُروقـاً يَضـلُّ بهـا الهاديـانِ(١)

ويصفه بأنه جمل سريع لا يُضنيه السيرُ مهما طالت الرحلة وتوالت يعتلي الفلوات ويطوي الوديان.

ويصف بعيره بأنه أهوج فيه جنون من نشاطه تارة يرمين بالمرء الطريق وتارة يحذف وجه الأرض بالحصى أو ما دق منه وله المقدرة على قطع المسافات البعيدة الأطراف والصحراء والقفار وقد أكل السير السريع لحومها ولحوم الذين يمتطونها فأتوك ضعاف مهزولين من شدة السير يقول في ذلك:

شَـدّوا بـأَعواد الرِحـال مَطـيَّهُم ⁂ مِن كلّ أَهوجَ لِلحصى رَضّاض

١/ ديوان أبي الشيص: ص١١٠؛ الخروق: جمع خرق وهي الأرض الواسعة التي تنخرق فيها الرياح؛ رحى الزور: هي كركرة البعير التي إذا برك أصابت الأرض؛ الهجان: من الإبل الكرام؛ الزمع: الدهش؛ الجران: مقدم العنق؛ البطان: الحزام الذي يجعل تحت البطن؛ النسع: سير مضفور يجعل زماماً للبعير.

يَـــرمينَ بـــالمرءِ الطَريـــقَ وتـــارةً ** يَحذِفنَ وَجهَ الأَرضِ بالرَضراضِ
قَطَعـوا إِليـكَ ريـاضَ كُـلِّ تَنوفَـةٍ ** وَمَهامـه مُلـسِ المتـونِ عِـراضِ
أَكَـلَ الوَجيـفُ لُحومَهـا وَلحـومَهُمْ ** فـأَتوكَ أنقاضـاً عَلـى أَنقـاضِ
وَلقَـد أتَتـكَ عَلـى الزَمـانِ سَـواخِطاً ** فَرَجِعنَ عَنـكَ وهُـنَّ عَنـهُ رَواضِ [(١)]

لَمْ يزل من تقدم من الشعراء وغيرهم مجمعين على ذم الغراب والتشاؤم به. وكان اسمه مشتق من الغربة فسموه غراب البين وزعموا أنه إذا صاح في الديار أقفرت من أهلها، وشاعرنا يتطيَّر من الإبل ويكرهها؛ لأنَّها تَحمِلُ الظعَائنَ وتُشَتِّتُ الخُلاّنَ، ولذلك خالفهم أبو الشيص فقال في وصفه للغراب ما هو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله وهو قوله:

مـا فَـرَّقَ الأَحبـابَ بعـد ** اللَـــهِ إلا الإبـــلُ
والنـاسُ يَلحـون غَـرابَ ** الـبَين لمـا جَهِلـوا
وَمـا إذا صـاحَ غـرابٌ ** في الـدِيار احتَمَلـوا
وَمـا عَلـى ظَهـرِ غِـراب ** الـبَين تُطـوى الرِحَـلُ
وَمـا غـراب الـبَين إلا ** ناقـةٌ أَو جَمَـلُ [(٢)]

ويستمر شاعرنا في وصفه للغراب ويقول بعد أن حط الليل جرانه وأناخ هنالك غراب ينوح على غصن شجرة البان هذا الغراب قد تناثر ريش جناحه وأنه شديد الصياح يبكي بعينين لا تهملان وفي صياح الغراب اقتراب وتداني وفي البان بُعد وفرقة يقول:

أَشـاقَكَ والليـل مُلقـي الجِـران ** غُـرابٌ يَنـوحُ عَلـى غُصـنِ بـانِ

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٧؛ الرضراض: الحصى أو ما دقه منه؛ التنوفة: البرية لا ماء فيها.
٢/ المرجع السابق: ص٩٥؛ الوجيف: السير السريع من وجف يجف.

أَحَــمُّ الجَنَــاحِ شَــديدُ الصــياحِ ** يُبكّــي بعَيــنَين لا تَهمُــلانِ
وَفِي نَعَبــاتِ الغُــرابِ اغــترابٌ ** وَفِي البــانِ بَــينٌ بَعيــدُ التَـدانِ
لَعُمــري لــئن فَزَعَــت مُقلتــاك ** إِلى دَمعــةٍ قَطرُهــا غَــيرُ وانِ
فَحُــــقَّ لِعَينَيــــكِ أَلا تَجــــفَّ ** دُموعُهُمــا وَهمــا تَطرِفــانِ
وَمَــن كــانَ فِي الحَــيِّ بــالأمس ** منك قَريبَ المَكانِ بَعيدُ المَكـانِ[1]

وشاعرنا يصف الهدهد، فإنَّ العرب والأعراب كانوا يزعمون أنَّ القترعة التي على رأسه ثوابٌ من اللّه تعالى على ما كان من برِّه لأُمِّه لأنَّ أمَّه لما ماتــتْ جعل قبرها على رأسه، فهذه القترعة عوضٌ عن تلك الوَهْدة. والهدهد طائرٌ مُنتن الريحِ والبدن، من جوهره وذاته[2].

ويقال عنه: إنه يرى الماءَ في باطن الأرض كما يراه الإنســان في بــاطن الزّجاج. وزعموا: أنه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء ولذلك تفقّده، على أحد أقوال المفسرين لكتاب الله تعالى[3].

ووصفه أبو الشّيص فقال:

لا تــأَمَنَنَّ عَلــى ســرّي وَسِــرّكُم ** غَيري وَغيرك أَو طيِّ القَراطيسِ
أَو طــائر سَأَصــليهِ وأَنعَتُــهُ ** ما زالَ صاحِبَ تَنقير وَتَدسيسِ
ســودٍ بَراثِنُــهُ ميــلٍ ذَوائِبُــهُ ** صُفر حَمالِقُه فِي الحُسنِ مَغموس

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٦؛ الجران: باطن عنق الجمل أو الفرس؛ الليل ملقى الجران: أي حط وأناخ؛ أحم الجناح: أي الذي تناثر ريش جناحه.
٢/ الحيوان: لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، ج٣، ص٤٢.
٣/ نهاية الإرب: لأبي العباس أحمد القلقشندي، ج١٠، ص٢٤٨.

قَــد كــانَ هَــمَّ سُــليمانٌ ليَذبَحَــهُ ** لَـولا سَـعايتَهُ في مُلـكِ بلقـيس[1]

وصـف الخمـر:

والخمريات فن وصفي آخر استقل بنفسه وأصبح باباً مهماً من أبـــواب الشعر العربي. والحقيقة أن الخمر في العصر الجاهلي كانت جزءاً من حياة العرب يقبلون عليها على اختلاف طبقاتهم دون تحرج ويصفونها في شعرهم باعتبارهـــا مظهراً من مظاهر الفتوة والكرم، وسماحة النفس، أمَّا فن الخمريات في العصـــر العباسي فقد تطور تطوراً كبيراً واتسع حتى أوشك أن يكون بابـــاً خاصـــاً في وصفها وشربها والعناصر التي تستخرج منها. وظهرت في هذا العصر اتجاهـــات جديدة لَمْ تكن موجودة من قبل ولعل هذا التطور كان موطنـــه الأول الكوفـــة لسببين، الأول: موقف فقهائها من تحليل الخمر. والثاني: أن مدينة الكوفة قـــد أسست على مسافة قليلة من الجيرة وأن شعراء هذا العصر يستهلون قصائد الخمر بتحسين شربها بدلاً من الوقوف على الأطلال. أمَّا قبل العصر العباسي لَمْ تكـــن فناً مستقلاً بذاته[2].

وفي العصر العباسي أمضى التحضير الأثيم في الاندفاع فاتســـعت حريـــة الفرد والمجتمع وعم الفساد ولقد شجع بعض الخلفاء أمثال المعتصم على شـــرب الخمر واقتناء الجواري وقد تعددت مصادر الخمر عندهم فقد اتخذت من العنب والتفاح وغيرهما[3].

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٥٣؛ أي وغيري طي القراطيس؛ تدسيس: مـــن الـــدس، وهـــو الإدخال، أي: يدخل منقاره في الأرض بحثاً عن قوله وهي الأصول تأســـيس؛ براثنـــه: أظفاره؛ ذوائبه: ريش تاجه؛ وحمالقه: جفونه.

٢/ الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعصر العباسي الأول: إبراهيم رفيـــدة، ومحمـــد عبد المنعم خفاجة، ط١، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٩٥-١٩٦.

٣/ شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه: جورج غريب، دار الثقافة، بيروت، لبنـــان، مطبعـــة=

ومن الشعراء الذين ربطوا حياتهم بالخمر وأخلصوا لها، فجاء شعرهم تعبيراً صادقاً عن عاطفتهم نحوها بحيث لا يسمحون لغرض آخر من أغراض الشعر أن يتداخل في التعبير عن هذا الحب للخمر، اللهم إلاَّ أن يكون نتيجة لها كالمجون والتحلل من العقيدة وإطراح القيود الاجتماعية(1).

ولعل خير ما يمثل شعر الوليد الخمري تلك القصيدة التي تنسب لأبي نواس وهي:

اِصدَع نَجِيَّ الهُمومِ بالطَرَبِ ** وَانعَم عَلى الدَهرِ بِابنَةِ العِنَبِ
وَاستَقبِلِ العَيشَ في غَضارَتِهِ ** لا تَقفُ مِنهُ آثارَ مُحتَقِبِ
مِن قَهوَةٍ زانَها تَقادُمُها ** فَهيَ عَجوزٌ تَعلو عَلى الحُقُبِ
أَشهى إِلى الشربِ يَومَ جَلوَتَها مِنَ الفَتاةِ الكَريمَةِ النَسَبِ
فَقَد تَجَلَّت وَرَقَّ جَوهَرُها حَتّى تَبَدَّت في مَظهَرٍ عَجَبِ(2)

ويتضح من هذه الأبيات التطور الجديد الذي حدث في المعاني القديمة بالنسبة لقدم الخمر، فهي عجوز ومع ذلك فهي أحلى من العروس الجميلة عند طلابها ثم هو يستخدم مصطلحاً فلسفياً حيث يجعل جوهرها رقيقاً من القدم.

ومع شيوع الخمر وانتشارها في العصر العباسي الأول زاد إقبال الشعراء على وصفها بصورة لَمْ تحدث من قبل واهتموا بها لا باعتبارها موضوعاً تقليدياً يخوضون فيه، ولكن لأنَّ شربها أصبح جزءاً من حياتهم المتحضرة يألفونه

=غريب، د.ت، ص٣-٧.

١/ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: د. محمد مصطفى هدارة، ص٤٨٢.

٢/ المرجع السابق: ص٤٨٢.

ويتلذذون به ولذلك فهم يعبرون عن هذه الإلفة وتلك اللذة بهذا الوصف للخمر ومجالسها وما يتصل بها من ندامى وسقاه ومجون وريحان وكئوس[1].

وشاعرنا أبو الشيص من وصافي الخمر فهو كثيراً ما كان يصفها في شعره وصف المحب لها المدمن عليها. وهو في إحدى قصائده يحدثنا عن الخطوات التي مرت بها الخمر منذ اعتصارها إلى أن وصلت إليه عجوزاً تُخفي تجاعيد الزمن في وجهها بما تضمّخ به جِلدَها من طيب وزعفران يقول:

وعَـذراءَ لَـم تَفتَرِعهـا السُـقاةُ ** وَلا استامها الشربُ في بَيـتِ حـانِ
وَلا احتلَبَـت دَرَّهـا أَرجُـلٌ ** وَلا وَسَـمَتها بِنـارٍ يَـدانِ
وَلَكِـن غَـذَتها بأَلبانِهـا ** ضُـروعٌ يَحُـفُّ بِهـا جَـدوَلانِ
إلى أَن تَحـوّل عَنهـا الصِبـا ** وأَهـدى الفطـامَ لَهـا المُرضِـعانِ
فأَحسَـبُها وَهـي مَكروعـةٌ ** تَمـجُّ سَـلافَتُها في الأَوانِ
فَلَـم تَـزَل الشَـمسُ مَشـغولَةً ** بصِـبغَتِها في بطـونِ الـدِنان
ترشّـحها لِلِثـامِ الرِجـال ** إلى أَن تَصـدّى لَهـا السـاقيانِ
فَفَضّـا الخَـواتيم عَـن جَونَـةٍ ** صَـدوفٍ عَـن الفَحـلِ بكـرٍ عَـوانِ
عَجـوز غـذا المِسـكُ أصـداغها ** مُضـمَّخة الجلـدِ بـالزعفَرانِ
يَطـوفُ عَلينـا بهـا أَحـوَرٌ ** يَـداهُ مِـنَ الكـأَسِ مَخضـوبَتانِ[2]

ولا يترك شاعرنا أبو الشيص وصف الخمر في قصيدة من قصائده حتى في قصائد مديحه كتلك القصيدة التي مدح بها عقبة بن الأشعث وأدار أغلبها على وصف الخمر، ومع هذا فقد كان يقصر بعض قصائده على وصف الخمر دون

١/ اتجاهات الشعر العربي: ص٤٨٥.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٨.

غرض آخر من أغراض الشعر. فهو وصف الخمر بأنها عذراء تخاف لمس الرجال، وأنها تزف إليهم حين تجلوها الكئوس، كما وصف ساقيها وأثرها في شاربها ومجلسها القديم الذي درس ولَمْ تبق غير آثاره التي تدعو للتحسر، يقول:

وَسَبيئة مِن كَرمِها حيريَّة * * عَذراء من لمس الرِجال شَموسُ
لَم يَفتق النُعمان عُذرَتَها وَلَم * * يَرشِفُ مجاجَة كأسها قابوسُ
كَتَبَ اليهودُ عَلى خَواتِم دَنِّها * * يا دنُّ أَنتَ عَلى الزَمان حَبيسُ
ذِمّيَّة صَلّى وَزَمزَم حَولَها * * مِن آل برمكَ هَربدٌ ومَجوسُ
تَجلو الكؤوس إذا جَلَت عَن وَجهها * * شَمساً غذاها الشمس فَهيَ عروسُ
عَكفَت بِها عُفر الظِباء كأنَّها * * بأَكفِّهنَّ كَواكِبٌ وَشموسُ
مِن كُلِّ مُرتَجِّ الرَوادف أَحورٍ * * كسرى أَبوهُ وأُمُّهُ بلقيسُ
رَخو العِنان إذا ابتَديتُ فَخادِمٌ * * وإذا صَبوتَ إليهِ فَهوَ جَليسُ
يَسعى بإبريق كأنَّ فِدامَهُ * * مِن لَونِها في عُصفرٍ مَغموسُ
يَسقيكَ ريقَ سَبيئةٍ حيريّة * * مِمَّا استَباه لِفِصحِهِ القَسّيسُ
بَينَ الخوَرنَقِ والسَدير مَحِلَّة * * لِللَهوِ فيها مَنزِلٌ مَطموس
فالنَدّ مِن ريحانِها مُتَضَوِّعٌ * * والظَهرَ مِن غِزلانِها مَدحوسُ
نَحِسَ الزَمان بأَهلِها فتَصَدَّعوا * * إنَّ الزمَانَ بأَهلِهِ لَنَحوسُ
كُنّا نَحلّ بِهِ وَنَحنُ بِغبطَةٍ * * أَيامَ للأَيامِ فيهِ حَسيسُ
فَبَنى عَليهِ الدَهرُ أَبنيةَ البِلى * * فَعَلى رُباه كآبَةٌ وعُبوسُ (١)

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٣؛ شموس: ممتنعة؛ النعمان: هو أبو قابوس النعمان بن المنذر الملك العربي ممدوح الذبياني؛ الزمزمة: كلام المجوس عند أكلهم؛ الخوزنق والسدير: قصران مشهوران في الحيرة؛ مدحوس: مملوء وكأنه يريد أن غزلانها سمينة.

فشاعرنا من وصافي الخمر وقد تخصص في هذا الفن حتى ليكاد أن يقصر عليه شعره وحياته فهو يتخذ من القصيدة الخمرية مجالاً لبث عواطفه والتنفيس عن مشاعره العميقة نحو الخمر. فالوصف عند أبي الشيص قد اتسع مجاله وتعددت موضوعاته فله قدرة على الخيال ودقة التشبيه.

المبحث الثاني
الغزل

النسيب والتشبيب والتغزل كلها بمعنى واحد كما يقول ابن رشـــيق[1]: "وهو ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن كما يقـــول قدامة"[2].

وبهذا المعنى يفترق التشبيب عن الغزل الذي يراد به التصابي والتلطف مع النساء والتحبب إليهن بالوجه الذي يجذبهن ولا يكون ذلك إلاَّ بالشمائل الحلوة والأعطاف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمناخ المستغرب[3].

والتغزل أو النسيب من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شـــيوعاً لاتصالها الوثيق بالطبيعة الإنسانية، فالحب أو محاولة الحب لغة عالمية وميل فطري في كل بيئة، ووصف المحبوبة والتغني بجمالها إحساس تلقائي لذلك تطور فن الغزل تطوراً كبيراً منذ الجاهلية وحتَّى القرن الثاني إذ طرأت عليه عوامل مختلفة خاصة في الحجاز حولته عن صور الجاهلية القديمة إلى صورة جديـــدة تتضـــح فيهـــا التأثيرات الحضارية المختلفة[4]. والشعراء دون غيرهم يصورون هذا الحب بعاطفة صادقة فيتدفق على ألسنتهم من وجدان مرهف ليعبر عمَّا يجيش في خـــواطرهم وعما يختلج في قلوبهم، والغزل ينبع من النفس بعد أن يتفجر الحب في أعماقها، وبما أن الحب إحساس مشترك بين جميع الناس فإنهم يجدون لذة في سماع أشـــعار

١/ العمدة في صناعة الشعر ونقده: ج٢، ص٩٤.

٢/ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخـــانجي، مصـــر، ١٩٦٢م، ص١٤٠.

٣/ المرجع السابق: ص٤٢.

٤/ اتجاهات الشعر العربي: ص٥٠٠.

الحب فيتخيل كل واحد أن هذا الشعر يمثل قصته ويحكي آلامه وآماله، ليس الغزل تعبيراً عن تجربة ماضية فقط، إنه تعبير عن تجربة ماضية أو حاضرة تترك أثرها في مستقبل كل إنسان.

أمَّا في أدبنا العربي فقد احتل الغزل حيزاً كبيراً من الشعر وفي مختلف العصور ونظمه أكثر الشعراء وتغنوا بالمرأة ووصفوا عواطفهم وخفقات قلوبهم وعذاباتهم بأروع اللوحات الوصفية والقصصية الحوارية كما عرف الشعر العربي الغزل بكل أنواعه الضعيف والصريح لكن معظم قصائد الغزل اتحدت من حيث تقسيمها كالبدء بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار ورسم مشاهد ارتحال الأحبة ووصف المحاسن الجسدية والخلقية عند المرأة كما اتحدت قصائد الغزل في صفات المحبوبة لكون الشعر الأسود والبشرة البيضاء والعيون السوداء وجميعهم شكوا من غدر الحبيبة ولوم اللائمين. غير أن الغزل كغيره من أمور الحياة يخضع للتطور من حيث الأسلوب بينما الحب يبقى شعوراً سامياً[1].

وفي العصر العباسي تطور الغزل تطوراً بارزاً خاصة مع تعدد مظاهر اللهو والرفاهية. وحينما اندثر الشعر التغزلي في الحجاز انتقل إلى العراق مع الحياة المتحضرة الجديدة التي أغرقت جوانب المجتمع الإسلامي فالعراق قد تعرض لتأثير الحضارات الأجنبية المختلفة وسارت فيه عملية المزج والتوليد بين الأجناس الأخرى بخطى سريعة. وأيضاً القوة الاقتصادية للدولة بانتقال طريق التجارة فتدفقت الثروة عليه من كل مكان وشاع الترف في أنحائه وعمر بالقصور الشاهقة والبساتين الفيحاء كل ذلك جعل من العراق بيئة صالحة لتطور فن التغزل في العصر العباسي الأول كما ظهرت فيه اتجاهات جديدة شهدها العصر

١/ الغزل في الشعر العربي: سراج الدين محمد، مطبعة دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص١.

العباسي الأول لأول مرة في تاريخ الشعر العربي[1].

الـغـنـاء:

للفن صلة وثيقة بالغزل إذ أن الغناء كثيراً ما يتخذ مادته من هـــذا الفـــن الشعري، وهو بذلك يكون داعياً من دواعي الإكثار من الغزل هذا من ناحيـــة ومن ناحية أخرى طرق الشعراء باب الغزل في الجواري المغنيات وقد كثر تعليم الجواري الغناء في العصر العباسي، وكان العراق وخاصة بغداد مدرسة لتخـــريج هؤلاء القيان[2] ومن الغزل في المغنيات كانت لشاعرنا أبو الشيص جارية سوداء اسمها (تبر) كان يتعشقها وفيها يقول:

لَـم تَنصـفي يـا سميّـةَ الـذَهَب ** تتلـفُ نَفسـي وأَنـتِ في لَعِـبِ

يـا ابنـة عـمّ المسـك الزَكـي وَمـن ** لـولاكِ لَـم يُتَّخـذ وَلَـم يَطـبِ

ناسَـبَك المِسـك في السـواد وَفي الـ ** ـريحِ فـأَكرم بـذاكَ مِـن نسَـبِ[3]

يقال إن هذه الأبيات الثلاثة من أجمل ما قيـــل في الغـــزل فهـــو مـــن موضوعات الغزل اللافتة للنظر في العصر العباسي الغزل في الجواري السوداوات وهذا النوع يعد ظاهرة جديدة في الغزل العربي. ففي هذه الأبيات خالف أبـــو الشيص غيره من الشعراء في الشطر الأول من البيت الثاني لَمَّا دعاها بابنة عـــم المسك لا المسك ولكنه لَمْ يقف عند هذا الحد بل جنح إلى مبالغة لطيفة لَمَّا قال إن المسك لولاها لَمْ يُتخذ ولَمْ يُطب. وصرح في البيت الأخير أن المسك ناسبها في لونها وفي طيب رائحتها أيضاً وقد كان موفقاً في هذا العكس لكي يتم المعنى

١/ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: الدكتور محمد مصطفى هدارة، ص٥٠٢.

٢/ الشعر في ظل سيف الدولة: د. درويش الجندي، ص٢١٤-٢٤٥

٣/ ديوان أبي الشيص: ص٤٢.

الذي بدأه في عجز البيت الثاني.

ويستمر شاعرنا في غزله في المغنيات يقول:

جارِيَــــــةٌ تَســــحَرُ عَيناهــــــا * * أَســــفَلُها يَجــــذِبُ أَعلاهــــا
أَصبَحتُ أَهواهــا وأَهــوى الــرَدى * * لِكُــلِّ مَــن أَصــبَحَ يَهواهــا
نَفســي عَلــى أَمــرَين مَطبوعَــةٌ * * حُبّــي لَهــا أَو بُغــضِ مَولاهــا
قَــد مَلَكــتَني وَهــيَ مَملوكَــةٌ * * فَصِــرتُ أَخشــاهُ وأَخشــاها [1]

وهاهو يصف محبوبته بالعيون الساحرة والجمال والحسن المكتمل أسفلها يجذب أعلاها ثم يرجع ويعبر عن هواه وحبه لها ومن شدة حبه أصبح يتمنى الموت لكل من يهواها أو يتقرب منها وأن نفسه مطبوعة على حبه لها أو بغض مولاها فصار لذلك يخاف ويخشى مولاها لأنها ملكته وهي مملوكة ومن مشهور شعره في الغزل ينسب بمحبوبته:

وَقَفَ الهَوى بي حَيثُ أَنتِ فَليسَ لي * * مُتَــأَخَّرٌ عَنــهُ وَلا مُتَقَــدَّمُ
وأَهَنــتِني فأَهِنــتُ نَفســي جاهِــداً * * ما مَن يَهونُ عَليكِ مِمَّن يُكرَمُ
أَشــبَهتِ أَعــدائي فَصِــرتُ أُحِــبُّهُم * * إِذ كانَ حَظّي مِنكِ حظّي مِنهُمُ
أَجِــدُ المَلامــةَ في هَــواكِ لَذيــذَةً * * حُبّــاً لِــذكرِكِ فَلــيَلُمني اللُّــوَّمُ [2]

وشاعرنا كأنه قال وقف الهوى بي حيث أنت واقفة لأنَّ حيث في الأمكنة بمنزلة حيث في الأزمنة والمتأخر والمقدم بمنزلة التقدم والتأخر ثم يقول فأذللت نفسي على صغر مني مجانبة الخلاف وإن الذي تهينينه لا يستحق الإكرام وهاهو يساوي بينها وبين أعدائه في المحبة لأنه لاقى منهم ما لاقى منها من العذاب

١/ ديوان أبي الشيص: ص١١٥؛ أشبهت أعدائي: أي وافقت في معاملتي أعدائي.

٢/ المرجع السابق: ص١٠١؛ أهنت نفسي: أذللت نفسي.

والمشقة والأذى أي وافقت في معاملتي أعدائي أخذاً فيما أكرهه وذهبا عمّا أحبه لأنَّ حظي منك فيما أرومه يماثل حظي من أعدائي فيما أسومه فهو يشبهها بالأعداء فهو يجد اللوم لذيذاً في سبيل حبها ثم يقول إنني أسأل عنها الركب عهدهم عهدي فهو يريد أنه يستلذ ذكرها.

وشاعرنا ينتهج في غزله نهج الشعراء القدامى فيذكر الصفات الحسية لمحبوبته ويشبهها بأنها طويلة العنق ولطيفة الأحشاء والكبد ولولا التمنطق ويريد به موضع النطاق وهو قطعة من قماش يشد بها الوسط والدملوج والسوار والحجل وكل هذه الأشياء تتزين بها المحبوبة.

وما قيل في هذه المعاني قول أبو الشيص:

قُلْ للطويلَةِ مَوْضِعَ العِقْدِ ** ولَطِيفَةِ الأَحْشاءِ والكِبْدِ
أَلا وَقَفتِ عَلى مَدامِعِهِ ** فَنَظَرتِ ما يَعملنَ في الخدِ
لَوْلا التمنطُقُ والسِّوارُ مَعاً ** والحِجْلُ والدُّمْلُوجُ في العَضْدِ
لَتَزَايَلَتْ مِن كَلِّ ناحِيَةٍ ** لكِنْ جُعِلْنَ لها على عَمْدِ
جاءَتْ إِلى عَيْنَك وَجْنَتُها ** في خِلْعَةِ الخِيرِيِّ والوَرْدِ[1]

بكاء المنازل والأطلال:

الأطلال هو المكان الذي كانت فيه الحبيبة وإليه كان قلب الشاعر يخفق ونظره يمتد وخياله يحوم وكان فيه لقاؤه ووصله ويأسه.

فشاعرنا أبو الشيص يتخلى عن مذهبه الشعري الجديد فيضطر لمجاراة العلماء والرواة بهذا النوع من الشعر التقليدي فشاعرنا مجدد بعيد عن روح البادية كل البعد في جميع شعره يضطر أحياناً إلى مخاطبة الأطلال والتزام نهج القصيدة

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥٣.

التقليدية كما في قوله:

يـا دارُ مالـكِ لَـيسَ فيـكِ أَنـيسُ ** إلا معـالم آيُهُـنَّ دُروسُ
الـدَهرُ غالَـكِ أَم عَـراك مِـن البَلـى ** بَعـدَ النَعـيم خُشـونَةٌ ويُبـوسُ
مـا كـانَ أَخصَـبَ عَيشِـنا بـك مـرَّة ** أَيـامَ ربعُـك آهِـلٌ مـأنوسُ
فَسـقاكِ يـا دارُ البَلـى مُتَجـرّفٌ ** فيـهِ الرَواعِـدُ والـبروقُ هَجـوسُ
دار جـلا عنهـا النَعـيم فرَبعهـا ** خَلَـقٌ تَمـرُّ بـهِ الريـاح يَبـيسُ
طَلَـلٌ مَحـت آيُ السَـماء رسـومَه ** فَكـأَنَّ بـاقي مَحـوهنَّ دروسُ
مـا اسـتَحلَبَت عَينيـك إلا دِمّنـة ** ومَخرَّبٌ عَنـهُ الشَـرى مَنكـوسُ
وَمَخـيَّسٌ في الـدارِ يَنـدبُ أَهلَـهُ ** رَثُّ القِلادة في الـترابِ دَسـيسُ
أَنِـسَ الوحـوشُ بِهـا فَلَـيسَ بربعهـا ** إلا النَعـامُ تَـرودُه وَتجـوس [1]

فهاهو يفتتح قصيدته بسؤال الأطلال ويطلب منها الإجابة أين سكانك وأين المنازل فإنني لَمْ أرَ إلاَّ الآثار الدارسة هل الدهر جار عليك بعد أن كانت هذه الديار تنعم بخصوبة العيش وكان وقتئذ ربعك مأهول ومأنوس فهاهو يدعو للديار بالسقيا فإن النعيم قد غادرها فربعها بالي ويابس فليس من ساكنيها إلاَّ النعام، ولقد انمحت المعالم وطمست الآثار ويواصل شاعرنا في بكائه على الأطلال والديار يقول:

مَرَت عَينَهُ للشوقِ فالدَمعُ مُنسَكِب ** طُلـولُ ديـارِ الحَـيِّ والحـيُّ مُغتَـرِب

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٠؛ التمنطق: موضع النطاق وهو قطعة من قماش أو جلد يشد بها الوسط؛ آيهن: آثارهن؛ دروس: دوارس؛ خيس تخييساً: ذلَّله أو حبسه ومنه قول النابغة في قصيدته المشهورة في مدح النعمان: "وخيس الجن"؛ الدسيس: ما دس في التراب؛ بمخيس: محبوس؛ ترودُه: تتفقده وتطلبه بالحرص والاستقصاء؛ قسوس: قسيس.

كَسا الـدَهرُ بُردَيهـا البِلـى وَلَرُبَّمـا * * لبِســنا جَديــديها وأَعلامُنــا قُشُــب
فَغَيَّــرَ مَغناهــا وَمحَّــت رســومَها * * سَــماءٌ وأَرواحٌ وَدَهــرٌ لَهــا عَقَــب
تَربّــعَ في أَطلالِهــا بَعــدَ أَهلِهــا * * زَمانٌ يُشِتُّ الشَملَ في صَرفهِ عجـب
تَبــدَّلَتِ الظُلمــان بَعــدَ أَنيسِــها * * وسوداً مِنَ الغِربـانِ تَبكـي وَتَنتَحِـب
وَعَهدي بِهـا غَنَّـاء مُخضَرَّةُ الرُبـى * * يَطيبُ الهَوى فيها ويُستَحسنُ اللَعِب
وَفي عَرصاتِ الحـيِّ أَظبٍ كأَنَّهـا * * مَوائِــدُ أَغصــانٍ تــأَوّدُ في كُثُــب (١)

ففي هذه الأبيات يصور شاعرنا شوقه لمحبوبته عندما مرَّ بديارها الباليـــة وعينيه تدرّ الدمع وأن الدهر قد أصابها بالبلى وقد كانت هذه الديار عامرة فتغير مكانها وانمحت رسومها نتيجة لتعاقب السنين والأيام عليها وتكـــرار الأمطـــار والرياح. وحل مكان أهلها وساكنيها النعام والغربان شديدة الصياح والنحيب. وعندما رأيتها كانت جميلة مخضرة الروابي يطيب العيش فيها وفي ساحات هـــذه الديار آظب كأنها الموائد في شكلها.

وشاعرنا يفيض غزله بالرقة واللين ما دام تعبيره عن هذه العاطفة الرقيقـــة والشعور السامي وتسود في ألفاظه السهولة والعذوبة مع حسن السبك وعـــدم التنافر بين الكلمات ووضوح المعنى.

وهذا هو الغزل عند أبي الشيص فقد غلب عليه اللون الحســـي للمـــرأة صورها بأنها طويلة العنق ولطيفة الأحشاء ولَمَّا كان للغناء صلة وثيقة بالغزل فقد تغزل بالمغنيات وصور هذا الغزل تصويراً جميلاً لِما يجري بين العاشقين وإن غزله

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٣؛ مرت عينه: مستحتها لتدمع أو لتدر الـــدمع؛ قشـــب: جمـــع قشيب؛ أرواح: جمع ريح وتجمع على أرياح أيضاً؛ عقب: الجري بعد الجري؛ الظلمـــان: جمع ظليم وهو ذكر النعام.

رقيق صادق لا تكلف فيه.

وشاعرنا له رسول يصل بينه وبين محبوبته، يقول:

جاءَ الرَسولُ بِبُشرى منك تطمعني * * فَكانَ أَكبَرُ وَهمي إِنَّهُ وَهما
فَما فرِحتُ وَلَكن زادَني حَزَناً * * عِلمي بأنَّ رَسولي لَم يَكُن فَهِما
كَم مِن سَريرة حُبّ قَد خَلوت بِها * * وَدمعَةٍ تَملأ القِرطاس والقَلَما [1]

اليتيمة:

من عيون تراثنا الشعري الزاخر بالكنوز قصيدة شعرية رائعة استشعر القدماء روعتها وأصالتها وتفردها فأطلقوا عليها اسم اليتيمة أي التي لا شبيه لها ولا نظير وقد ظلت اليتيمة عصوراً طويلة مجهولة النسب لا يعرف اسم شاعرها الحقيقي فمن قائل هو الشاعر العباس علي بن جَبَلة، ومن قائل هو الشاعر أبو نواس، ومن قائل هو الشاعر دوقلة المنبجي، ومن قائل هو الشاعر أبو الشيص الخزاعي، وبعد نزاع طويل غلب عليها شاعران هما أبو الشيص الخزاعي والعكوك علي بن جبلة الكندي ومنذ عدة سنوات عثر على النص الكامل لليتيمة في نسخة مخطوطة من المقامات توجد في الهند منسوبة إلى أبي الشيص وهكذا لَمْ تعد اليتيمة يتيمة النسب فهي تنطق بشاعرية شاعر أصيل مقتدر تفنن في وصف محبوبته دعد وقد عرفت هذه القصيدة بأسماء كثيرة منها الدعدية نسبة إلى اسم الأميرة دعد التي نظمت من أجلها وتسمى أيضاً بالدرة اليتيمة. وبعد نزاع طويل صحت نسبة القصيدة للعكوك الكندي لانتساب الشاعر لكندة في آخرها وثانياً إنها لشاعرنا أبو الشيص الخزاعي لأنَّ الشاعر العكّوك الكندي لا يصح الجزم به ولهذا الرأي ذهب العلامة عبد العزيز الميمني في الزهراء (م٣ صفحة ٢٢٤) وعدد

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٤.

أبياتها ٦٦ بيتاً. وفي صحة نسبتها إلى شاعرنا أبو الشيص يمكن أن تكون القصيدة له بعد رفع الأبيات المنحولة والمقحمة فيها للتدليل على أن قائلها من تهامة أو من كندة. وإذا قورنت هذه القصيدة بشعر أبو الشيص فهي لا تختلف عن شعره من حيث قوة البيان والروح الشعري الذي يشيع فيه. ولقد نسبها إلى أبي الشيص جمهور كبير من أجلة علماء اللُّغة والأدب والتاريخ. وهي تحكي عن أميرة نجدية وقيل من اليمن نذرت ألا تتزوج إلاَّ فتى يرضيها شعره، فعمل شاعر تهامي قصيدة وسار بها فلقيه شاعر آخر يقصد مقصده فتناشدا قصيدتيهما وكان الشاعر مِمَّن خطب هذه المرأة سابقاً وكبا به جواد الحظ فحمله الطمع على أن رضخ رأس الرجل الشاعر بحجر إلى أن مات وأخذ القصيدة وأضافها إلى نفسه وذهب إلى (دعد) فسألته عن موطنه ودياره فقال لها العراق ولَمَّا اطلعت على القصيدة رأت فيها بيتاً يدلُّ على أن قائلها من تهامة فصرخت في قومها وقالت اقتلوا هذا قاتل بعلي، فأخذوه وعذبوه فأقرّ بفعلته النكراء فأمرت بقتله فقُتل. وخلاصة القول إن هذه القصيدة الدعدية والمعروفة عند بعض الرواة بالقصيدة اليتيمة وليدة العصر العباسي الأول كما تفصح جملة من أبياتها العامرة بالأخيلة الشفافة والأسلوب الشعري الرفيع[1]. وفي هذه القصيدة وصف شاعرنا محبوبته فلم يترك شيئاً منها إلاَّ وقد وصفه أدق وصف وأجمله وكأنه بذلك يقدم صورة للجمال كما تعشقه العربي القديم وحتَّى ليخيل لقارئ القصيدة أنه يتأمل لوحة فاتنة أبدعتها ريشة رسام مبدع في لوحته الفاتنة جسم محبوبته وجهها وشعرها وجبينها وجيدها وزندها ومعصمها وغدائدها ونظراتها وكل نبضة من نبضاتها ولَمْ يفته أن يصف ذهوله وإطراقه أمام هذا المشهد الرائع من مشاهد الحب والجمال وأن يتحدث عن أنفته وعزته وكبريائه حين يعز عليه الوصال. وكأنه

١/ ديوان أبي الشيص: ص١١٧-١٢٥.

بذلك يقدم لنا مثل الفارس العربي النبيل يذوب في هواه صبابة ووجداً. لكنه يترفع عزة وإباء وشموخ يجل نفسه عن ارتكاب الدنايا والصغائر ويستهل شاعرنا أبو الشيص قصيدته بمخاطبة الطلول شأن الشعراء القدماء في استهلالهم التقليدي للقصيدة العربية. وسؤالها هل لديها جواب بما تهجس به نفسه ويجيش به وجدانه يقول:

هَل بالطُلولِ لِسائلٍ رَدُّ * * أَم هَل لَها بِتَكَلُّمٍ عَهدُ(١)

فيقول هل سبق أن تكلمت الأطلال حتى ترد عليَّ الآن؟

ثم ينتقل بعد وقفته على الأطلال إلى محبوبته (دعد) فيقدم لها هذه الصورة الوصفية الفاتنة فيقول:

لَهفي عَلى دَعد وَما خُلِقَت * * إلا لِطول بَليّتي دَعدُ
بَيضاءُ قَد لَبسَ الأديمُ بهاءُ * * الحُسن فَهوَ لِجِلدِها جِلدُ
وَيَزينُ فودَيها إذا حَسَرت * * ضافي الغَدائر فاحِمٌ جَعدُ
فالوَجهُ مِثل الصُبح مُبيض * * والشَعر مِثلَ الليلِ مُسوَّدُ
ضِدّان لَما استَجمعا حَسُنا * * والضدّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ
وَجَبينُها صَلتٌ وحاجِبُها * * شَختُ المخَطّ أَزَجُّ مُمتَدّ
وَكأَنَّها وَسنَى إذا نظَرَت * * أَو مدنَفٌ لَمَّا يُفِق بَعدُ
بفتورِ عَين ما بها رَمَدٌ * * وَبها تُداوَى الأَعين الرُّمدُ(٢)

//فيقول شاعرنا يا لهفي وهي كلمة تقال للتحسر فهو يتحسر على عدم

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٣٦؛ الزجج: دقة الحاجبين في طول والنعت من أزج وزجاء.

٢/ المرجع السابق: ص١٣٨.

إتاحة الوصول إلى محبوبته دعد ثم يأتي ويقول أن جلدها لبس أديم الحسن أو أنها جمعت الحسن كله ثم يأتي الحديث عن شعرها فيصفها بأن لها شعر متدلي من جانب الرأس قريباً من الأذن وأنه ضافي ذو لون أسود فاحم ومتموجاً وأن وجهها مثل الصبح في البياض. ثم يواصل في وصف محاسنها فيقول لها جبين واضح بارز ومستو فلم ينخسف إلى الوراء ولَمْ يزحف عليه الشعر من جانبيه وأعلاه وأن لها حاجبين كالخط الرفيع الضيق فوق عينيها ويشبه نظراتها بنظرات الوَسنَى التي غلب عليها النعاس أو المريض الذي ثقل مرضه فغاب عن الوعي ثم يواصل في وصف عينيها فيصفها بأن بها فتور والفتور هو السكون بعد الحدة والنشاط وفي التنزيل العزيز: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[1].

ويسترسل شاعرنا في وصف محبوبته يقول:

وَتُريكَ عَرنيناً يُزيّنه ** شَمَمٌ وَخداً لَونُهُ الوَردُ
وَتجيلُ مِسواكَ الأراك عَلى ** رَتلٍ كأنَّ رُضابه الشُّهدُ
والجيدُ مِنها جيدُ جازئَةٌ ** تَعطو إذا ما طَالَها المَردُ
وَكأنَّما سُقيَت تَرائِبُها ** والنَحرُ ماء الورد إذ تَبدو
والمِعصمان فَما يُرى لَهُما ** مِن نَعمة وَبَضاضَةٍ زَندُ[2]
وَلَها بَنانٌ لَو أَردتَ لَهُ ** عَقداً بِكفّك أَمكن العَقدُ
وَبِصَدرِها حُقّان خِلتُهما ** كافورتينِ عَلاهُما نَدُّ
والبَطنُ مَطويٌّ كَما طوِيَت ** بِيضُ الرِباط يزينها الملدُ

١/ سورة الأنبياء: الآية (٢٠).

٢/ عرنين: قصبة الأنف؛ شمم: ارتفاع؛ رتل: حسن التناسق والتنضيد؛ الرضاب: الريق ما دام في الفم؛ البضاضة: اللين والامتلاء مع بياض اللون؛ الزند: العظم الذي يصل الكف بالساعد.

وَبِخَصـــــرِها هَيَـــــفٌ يُزيّنـــــهُ ** فــإِذا تَنـــوءُ يَكـــادُ يَنقـــدُّ

والتَـــــفَّ فَخـــــذاها وَفَوقهمـــــا ** كَفَـلٌ يُجـاذِبُ خَصـرِها نَهـدُ

فَقيامُهـــا مَثنـــى إِذا نَهَضَـــت ** مِـــن ثِقلِـــهِ وَقُعودُهـــا فَـــردُ

مـــا شـــانَها طـــولٌ وَلا قِصَـــرٌ ** في خَلقِهـــا فَقَوامُهـــا قَصـــدُ[١]

ويصف شاعرنا محبوبته بتلك الصفات الجميلة بأن لها أنفاً مستقيمة ليست مخصورة الأنف وإن لها خدوداً كلون الورد. فإنها تدير وتحرك مســـواك الأراك وتفرك به أسنانها لتنظيفها على فم مستو الرصيف وأسنان بيضاء وريـــق كأنـــه العسل في شمعه قبل أن تمسه يد إنسان ويشبه جيدها بجيد الظبية الوالدة حـــديثاً التي لا تريد أن تترك مولودها فتبالغ في مد عنقها حتى تطال بها الأشياء ويشـــبه ترائبها باللون الأحمر ويشبه بنانها باللين ولونها بالبياض وذلك لقلة الابتـــذال في العمل وأن لها ثدي كبير الحجم كأنه الحق أو الكافورة. وأن خصرها دقيق يكاد إذا نهضت من مكانها ينقطع أو ينكسر لأنَّ خصرها النحيل الضامر لا يستطيع أن يحمل بدنها الممتلئ السمين فقيامها مثنى إذا نهضت دفعتين. تنهض أولاً فترفـــع جسمها عن الأرض معتمدة على يديها ثم تتم نهوضها فتنتصب واقفة فإن قوامها معتدل وما عابها طول كثير ولا قصر كثير في خلقها فهي معتدلـــة في صـــورة جسمها.

ثم ينتقل إلى وصف العلاقة بينه وبين محبوبته ويصفها بأنها علاقة أخذ ورد، وجزر ومد، لكنه مع ذلك قانع بأقل القليل قانع بمجرد الوعد، يقول:

إِن لَـــم يَكُـــن وَصـــلٌ لَـــديكِ لَنَـــا ** يَشـفي الصَـبابةَ فَلـيَكُن وَعـدُ

قَـــد كـــانَ أَورَق وَصـــلكُم زَمَنـــاً ** فَــذَوى الوِصـــالُ وأَورَقَ الصَـــدُّ

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٣٩.

لِلَّــــهِ أَشـــواقي إذا نَزَحَـــت ** دارٌ بِنـا وَنـأى بكُـم بُعـد [1]
تَختَصّـها بـالود وَهـيَ عَلـى ** ما لا تُحِـبُّ فَهَكَـذا الوَجـدُ [2]

ويقول شاعرنا إذا لَمْ يجد من محبوبته وصالاً يشفي رقة الشوق ولهيب الحب فهو يطلب منها الوعد باللقاء لأنَّ الوعد عسى ولعل أن يشفي الغليل فقد كانت حبال الوصل متينة فترة من الزمان ولكن فجأة تقطعت هذه الحبال وذبل الوصال بيننا ويبس فلله أشواقي إذا بعدت ديارنا ونأت عنكم. وفي ختام اليتيمة تنتفض نفس الشاعر العربي بما تحمله من روح الفروسية والتمرد أنفةً وعزة وكبرياء إنه هنا في مقام الحديث عن نفسه والتفاخر بأخلاقه وصفاته وقيمه العربية النبيلة يقول:

وَلَقَـد عَلِمـتِ بـأَنَّني رَجُـلٌ ** في الصَـالِحاتِ أَروُحُ أَو أَغـدو
سـلم عَلـى الأَدنـى وَمَرحَمـةٌ ** وَعَلى الحـوادِثِ هـاديءٌ جَلـدُ
مُتَجليـبٌ ثَـوبَ العَفـاف وَقَـد ** غَفَـلَ الرَقيـب وأَمكَـنَ الـوِردُ
وَمُجانِـبٌ فِعـلَ القَبـيح وَقَـد ** وَصَلَ الحَبيبُ وَساعَدَ السَعدُ
مَنَـع المطـامِعَ أَن تُـثَلّمني ** إِنّـي لِمعوَلِهـا صَـفاً صَـلدُ
فـأَروحُ حـرّاً مِـن مَـذلّتِها ** والحـرُّ حـينَ يُطيعُهـا عَبـدُ
لـيَكُن لَـديك لِسـائلٍ فَـرَجٌ ** إِن لَـم يَكُـن فَليَحسُـنِ الـرَدُّ [3]

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٤١-١٤٢؛ الصبابة: رقة الشوق؛ أورق: ظهر ورقه تاماً؛ ذوى العود وغيره: ذبل يبس وضعف، ويقال ذوى عود فلان، شاخ؛ نزحت دارُ بنا: أي بعدت؛ نأى: بعد.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص١٤٢.

٣/ المرجع السابق: ١٤٤-١٤٥.

المبحث الثالث
المديح

المديح هو إظهار المحبة للمدوح والإشارة بذكره وهو فن الثناء والإكبار والاحترام قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل لجوانب من حياتنا التاريخية[1] وأكثر ما يعتمد على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة في نقد الشعر هي العفة والشجاعة والعدل والعقل[2].

ويرى ابن رشيق في باب المديح: "وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية، غير مبتذلة سوقية، ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل؛ فإن للملك سآمة وضجراً، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب، وحرم من لا يريد حرمانه، ورأيت عمل البحتري إذا مدح الخليفة كيف يقل الأبيات، ويبرز وجوه المعاني، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته، وبلغ مراده"[3].

والمديح في الشعر العربي يعتبر من أبرز الفنون الشعرية على الإطلاق رافقاً قيثارة الشعر العربي منذ وجودها الأول وعلى الرغم من التطورات التي طرأت على العملية الشعرية في لسان الضاد ومن التبديل الذي أصاب صناعة النظم ومفاهيمه ومقاييسه فإن المديح لَمْ يغب يوماً من الأيام عن مسرح الشعر، ولَمْ يكن يضعف أيضاً بل ظل هو الأصل، وسائر الفنون الشعرية هي الفروع.

والعصر العباسي الأول هو عصر الازدهار الفكري عند العرب في الفلسفة

١/ المديح: سامي الرهان، طبع دار المعارف، بدون تاريخ، ص٥.

٢/ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ص٦٩.

٣/ العمدة في محاسن الشعر: لابن رشيق، ج٢، ص١٢٨.

والفنون وفيه أشهر الشعراء وأجودهم شعراً وأعرفهم بالمديح وفنه ولكن شعر المديح كان على الرغم من ذلك يسير نحو الرقي حتى بلغ ذروته وفن المديح له مكانة كبيرة في العصر الجاهلي وخاصة بعد أن تكسب الشعراء بالشعر واتخذوه صناعة ومدحوا به الملوك والرؤساء كالأعشى، والنابغة، وزهير، وغيرهم. وكان الشعراء في الجاهلية يمدحون أبطال القبيلة وساداتها ويشيدون بمكانتهم بين القبائل ويصفون أخلاقهم ومآثرهم، وتمتاز المدائح الجاهلية ببساطتها، وصدقها، وبعدها عن الغلو والمبالغة وهي أثر جميل لشاعريتهم القوية[١].

والمديح عند أبي الشيص كان من الأغراض التي شغلت حيزاً في شعره قال الرقيق النديم "وهذا أبو الشيص، نقّى الكلام متخيّر الألفاظ، مـدّاح للخلفاء، لاحق للفحول"[٢].

وشاعرنا أبو الشيص درج في بلاط هارون الرشيد حتى عُدَّ من شعرائه وله فيه مدائح مشهورة منها قصيدته التي مدحه بها فهو يقول فيها:

مَلِكٌ لا يُصرّف الأَمرَ والنَهـ ** ـيَ لَـهُ دونَ رأَيـهِ الوزَراءُ
حَلَّ في الدَوحةِ التي طالَت النا ** س جَميعاً فَما إِليها ارتِقاءُ
وَسِعَت كفُّهُ الخَلائقَ جوداً ** فاستَوى الأَغنياءُ والفُقَراءُ
ملك يصدر الخلافة عن رأي ** إليه تستوحش الآراءُ
والإمام الذي حناياه للناس ** غديرٌ وروضةٌ خضراءُ

١/ الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، ص٣٠٩-٣١٠.

٢/ قطب السرور: للرقيق النديم، تحقيق أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية بدمشق، ص١٠٧.

إن هـــارون خـــيرُ مـــن تحمــــل ** الأرض عليها ومن تَظِلُ السماءُ
ملـــكٌ لا يمنـــعُ المـــال بالمـــال ** ولا تصـــطلي بـــه الـــلأواءُ
قـــــائم بالنهـــــار في رعيـــــة ** النـاس وبالليـلِ سـاجدٌ بكـاءُ
قســم الــدهر بــين حــج وغــزو ** فهــو في الــدهرِ مُحــرم غــزاءُ[1]

فهاهو يمدح الخليفة هارون الرشيد بهذه الصفات يقول إنه صاحب كلمة قوية نافذة وإنه مطاع الأوامر والنواهي وإن مكانته سامقة عالية وإن كلمته هي العليا المسموعة. ثم ينتقل فيصف لنا جوده وكرمه وإنه بلغ الـــذروة في ذلـــك فاستوى عنده الأغنياء والفقراء فإذا أصدر رأياً تضاءلت بقية الآراء فإنه كـــريم فشبه كرمه وجوده بالنهر والروضة الخضراء، فهو بالنهار يرعى الناس وأمورهم وبالليل قائم يصلي، فكل حياته وهبها لله وللدين.

وبعد أن درج في بلاط هارون الرشيد ارتحل إلى أمير الرقـــة عقبـــة بـــن الأشعث الخزاعي فانقطع له وقضى بقية حياته في ظلال نعيمه وفي مديحه له انتهج شاعرنا منهج الشعراء القدامى في وصفه لممدوحه حيث وصفه بالبحر الفياض في كرمه وجوده فإنه البحر الذي يحتمي به طالبي المعروف وهذه مضامين معنويـــة قديمة منذ الشعراء القدامى حيث يقول:

إنَّ الأَمـــانَ مِـــنَ الزَمـــانِ وَرَيبـــهِ ** يا عُقبَ شَـطّا بَحـركِ الفيّـاضِ
بَحـــــرٌ يَلـــوذ المُعتَفـــونَ بِنَيلـــه ** فَعم الجَـداول مُـترع الأَحـواضِ
ثَبــت المَقــام إِذا التَــوى بِعــدّوه ** لَم يَخشَ مِن زَلل وَلا إِدحـاضِ
غَيــث تَوشَّــحتِ الريــاض عِهــاده ** لَيــثٌ يَطـوفُ بِغابَــةٍ وَغِيــاضِ

١/ ديوان أبي الشيص: ص٢٧؛ الإدحاض: الانزلاق؛ المعتفون: طالبو المعروف؛ الفعم: المملوء؛ العهاد: جمع عهد وهو أول مطر الربيع؛ القاني: الأحمر.

وَمشـــمّر لِلمَـــوتِ ذَيـــلَ قَميصِـــهِ ** قاني القَناة إلى الـرَدى خـوّاضِ
لأَبـــي مُحَمَّـــد المُرَجّـــى راحَتَـــا ** مَلـكٍ إلى أَعلـى العلـى نهّـاضِ
فَيَـــدٌ تَـــدفّقُ بالنَـــدى لِوليِّـــه ** وَيَـدٌ عَلـى الأعـداء سـمٌّ قـاضِ [1]

فيمدحه بأنه البحر المملوء الأحواض والجداول والغيث المنهمر في أولـه وكأنه الأسد في غابة في وصفه بالشجاعة وقتله الأعداء وفي جوده وكرمه يقصده طالبو المعروف فتنهال عليهم عطاياه الوفيرة. ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدح الرشيد عندما ورد الخبر بهزيمة (نقفور) وفتح بلد الروم يقول في ذلك:

شَـددتُ أَمـير المـؤمنينَ قـوى المُلـك ** صَدَعتَ بِفتحِ الروم أَفئِدة التُّركِ
فَريـتَ بِسـيف اللَـهِ هـام عَـدوّه ** وَطأطأت للإِسلام ناصية الشركِ
فأَصبَحت مَسروراً بِما كـانَ ضـاحِكاً ** وأَصبَحَ نَقفورٌ عَلـى مُلكِـهِ يَبـكِ [2]

فيصفه ويمدحه بقوة ملكه وبفتحه للروم وانتصاره على ملكها، وتصدعت أفئدة الترك ورفعت راية الإسلام عالية خفاقة. وانحنت رؤوس المشركين، وعندما علا كتاب الله هام هؤلاء الكفار وانقلبوا على وجوههم فسررت سروراً عظيماً لهذا النصر المؤزر.

ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن مدائحه ميدان فسيح تظهر فيه ثقافته الإسلامية الواسعة في أمور الدين.

وأيضاً له مقطوعة يمدح بها محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني فيها يقول:

عَشِـقَ المَكـارِمِ فَهـوَ مُشـتَغِلٌ بِهـا ** وَالمكرمـــاتُ قَليلـــةُ العُشّـــاق

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٨.

٢/ المرجع السابق: ص٩٢.

وَأَقَــام ســوقاً لِلثّنــاء وَلَــم تَكُــن ** سُـوقُ الثَنـاء تُعَـدُّ في الأَسـواقِ
بَـثَّ الصَـنائع في الـبِلادِ فأَصـبَحت ** تُجبـى إِلَيـهِ مَحامِـدُ الآفـاقِ

فهو يمدحه ويقول إني رأيتك للمكارم عاشقاً، وإن المكارم قليل من يعشقها ويصفه بأنه صاحب ثناء وفضل وعندما قام فضله لَمْ يكن هنالك فضل لأحد وأنه نشر الخصال الحميدة والفضائل الجمة. كما وله شرف بث الصنائع في البلاد فأصبحت تأتيه محامد الآفاق.

وقد أكثر الشعراء العباسيون من شعر المديح لأنه كان يتنافس عليه الملوك والأمراء والولاة ليكسبوا حمداً ولينالوا مجداً ولتذيع مآثرهم وشاعرنا مشهود له بأنه مدَّاح للخلفاء والأمراء ولكن المراجع ضنت علينا بقصائد مديحه وأن بديوانه لا يوجد إلاَّ القليل من قصائد المديح فهل بقية قصائده في المديح ضاعت مع ما ضاع من ديوانه؟

ومهما يكن من شيء فعباراته في المديح قوية جزلة وصورة لَمْ تخلُ من الخيال الذي يحرك العاطفة فالممدوح كالبحر وكالأسد.

المبحث الرابع
الأغـراض الـشـعـريـة الأخـرى

نظم شاعرنا أبو الشيص في كل الأغراض التي نظم فيها الشعراء الـــذين سبقوه ولَمْ يدع غرضاً من الأغراض الشعرية إلاَّ وقال فيه ويتضح لنا ذلك جلياً عندما نقلب صفحات ديوانه. ولكن يبدو أن الشاعر قد أكثر من النظم في بعض الأغراض وأقل من بعضها. ولعل ذلك يرجع إلى موهبة الشاعر وطبعه في النظم فالشعراء كما يقول ابن قتيبة: "بالطبع مختلفون فمنهم من يسهل عليـــه المـــديح ويتعذر عليه الهجاء، ومنهم تسهل عليه المراثي ويتعذر عليه الغزل"[١].

ولعل أهم الأغراض التي لَمْ يكثر شاعرنا من معالجتها هي الحكمة، الفخر، العتاب، الهجاء، الرثاء، وذكر المشيب وبكاء الشباب، وغيرها من الفنون الشعرية التي سنتناولها بإيجاز.

الـرثـاء:

ليس بين الرثاء والمدح فرق إلاَّ أنه يقصد بالرثاء شـــيء يـــدلُّ علـــى أن المقصود به ميت، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بـــين الحســـرة مخلوطـــاً بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كما قال النابغـــة في حصن بن حذيفة بن بدر:

يَقولـونَ حِصـنٌ ثُـمَّ تَـأبى نُفوسُـهُم ** وَكَيفَ بِحِصنٍ وَالجِبـالُ جُمـوحُ
وَلَـم تَلفِـظِ المَـوتى القُبـورُ وَلَـم تَـزَل ** نُجـومُ السَـماءِ وَالأَديـمُ صَـحيحُ[٢]

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلة.

والرثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا

١/ يُنظر، الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوي، ص١٤.

٢/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج٢، ص١٤٧.

عن دنياهم وسبقوهم إلى الدار الآخرة وهو بكاء يتعمق في القدم منـذ وُجـد الإنسان ووجد أمامه هذا المصير المحزن مصير الموت والفناء الذي لا بد أن يصير إليه فتصبح أثراً بعد عين وكأن لَمْ يكن شيئاً مذكوراً[1]. فإذا كان الرثاء في حد ذاته مظهراً من مظاهر الوفاء للأموات فإن شعر شاعرنا في الرثاء ربما ضاع مع ما ضاع من شعره أو أهمل.

ولكن بعض المصادر تروي أن له مراثي مشهورة في الخلفـاء والأمـراء ولكننا لَمْ نجد في الديوان غير مقطوعتين إحداهما في رثاء هارون الرشيد وأخرى في بكاءه لبعض الأبطال وقد سقط قتيلاً. فهاهو قد بكى على الخلفاء وسـكب الدموع على فقدهم. وفي رثاء هارون الرشيد مستغلاً وفاته بطوس في المشـرق يقول:

غَرُبَـت بالمَشـرِق الشَـمسُ ** **فَقُـل لِلعَـين تَـدمَع
مـا رَأَينـا قَـطّ شَمسـاً ** **غَرُبَت مِن حَيثُ تَطلَع [2]

يقول إن موت هارون الرشيد يا له من مصيبة وفاجعة عظيمة. فهاهو يأمر العيون أن تبكي وتسيل الدموع لوفاة هذا الوزير فهو استخدم أسلوب حسـن التعليل في أن الشمس تغير اتجاه غروبها إلى المشرق لوفاة هارون الرشيد فيا لها من مبالغة.

وأيضاً من روائع مراثيه قوله يبكي بعض الأبطال وقد سقط صـريعاً في ميدان القتال مصوراً بأسه وشجاعته فيقول:

ختَلتـهُ المَنـون بَعـدَ احتيـالٍ ** **بَـينَ صَـفَّين مِـنَ قَنـىً وَنِصـالِ

١/ الرثاء: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، د.ت، ص٥.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٨٤.

في رداءٍ مِـــــنَ الصَـــــفيح ثَقيـــــلٍ ** وَقمــيصٍ مِــنَ الحَديــد مُــذالِ[1]

إن الموت قد تخفى له واستتر بعد أن تدرب على القتال وأخذ قسطاً مـــن فنون القتال رغم ذلك فقد سقط صريعاً وهو يحمل القناة والنصال. "ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة في موضع، قالوا: لَمَّا مات معاوية اجتمـــع النـــاس بباب يزيد، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبيد الله بن همام السلولي فدخل فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رزئت عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشـــكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزئت، فقد فقدت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووهبت جزيلاً؛ إذ قضى معاوية نحبه، ووليـــت الرياســـة، وأعطيت السياسة، فأورده الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور.

اصـبرْ يزيـدُ فقـد فارقْـتَ ذَا ثقـةٍ ** واشكر حِبَاءَ الذي بالمُلْك أصفاكا

لا رُزْءَ أصـــبَحَ في الأقـــوام نعلمـــه ** كمـا رُزِئـتَ ولا عُقْبَـى كعُقْباكـا

أصـبحتَ والـي أمـر النـاس كلِّهـمُ ** فأنــت ترعــاهُمُ واللَّــه يرعاكــا

وفي معاويـــة البـــاقي لنـــا خَلَــفٌ ** إذا نُعيــت ولا نَسْــمَعْ بمَنْعاكــا[2]

وعلى هذا السنن جرى الشعراء بعده؛ فشاعرنا أبو الشيص يرثي هـــارون الرشيد ويمدح الأمين وهذا يعتبر من أحسن ما قيل في موت ملك وقيـــام ابنـــه، يقول:

جَـــرَتْ جَـــوَارٍ بالسَّـــعْدِ والـــنَّحْسِ ** فـــنَحْنُ في وَحْشَـــةٍ وفي أُنْـــسِ

١/ ديوان أبي الشيص: ص٩٣؛ ختلته: تخفت له واستترت؛ مذال: طويل الذيل.

٢/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج٢، ص١٥٥.

الْعَــيْنُ تَبْكِــى والسِّــنُّ ضــاحِكَةٌ ** فــنَحْنُ في مَــأْتمٍ وفي عُــرْسِ
يُضْــحِكُنا القــائِمُ الأَمِــينُ وتُبْــ ** ــكِينا وَفَــاةُ الإِمــامِ بــالأَمْسِ
بــدرانِ بــدرٌ أَضــحى ببغــدادٍ في ** الخُلْدِ وبَدرٌ بِطوسَ في الـرَمسِ [١]

فهو يقول حدثت حوادث مفرحة ومبكية فنحن في حالة انقطاع وهم أيضاً في حالة استئناس وفرح. العين باكية والسن ضاحكة فنحن في مجمع حزن ومجمع فرح تضحكنا خلافة الأمين وتبكينا وفاة الرشيد. إن هناك بدران واحد في قصر الخلد بـ(بغداد) هو الأمين والآخر في القبر بـ(طوس) هو (الرشيد).

مأساة فقد البصر:

لعلنا نسمع لأول مرة في هذا العصر الترعة التعبيرية عن الذات تلك الترعة التي وجدت في فنون مختلفة من شعر هذا العصر، وجدت في المدح، كما وجدت في التغزل، والرثاء، والوصف، وأغراض كثيرة أخرى. والأهم من ذلك أنها وجدت في قصائد ذاتية خاصة بناحية معيَّنة من نفس الشاعر يريد أن يطلعنا عليها ولعلنا نسمع لأول مرة في هذا العصر شعراً يصور فيه صاحبه مأساة فقده بصره وظلام عيونه وما يلاقيه من عناء وشقاء في هذا العالم الرهيب عالم الظلام.
فهذا أبو يعقوب الخريمي يصف لنا هذه المأساة في مقطوعة صغيرة يقول فيها:

أُصْــغي إلى قائِــدِي لِيُخْبرنِــي ** إذا الْتَقينــا عمَّــنْ يُحيــيني
أريــدُ أن أعــدل السَّــلام وأن ** أفْصِلَ بـين الشـريفِ والـدونِ
أسمــعُ مــالاَ أرَى فــأكرهُ أن ** أخطـئَ والسـمعُ غـيرُ مـأمونِ
للّه عينِــي الــتي فُجِعــتُ بهَــا ** لــو أنَّ دَهــراً بهــا يــواتيني
(١)

١/ ديوان أبي الشيص: ص٦٨-٦٩.

لـو كنـتُ خُـيِّرت مـا أخـذتُ بهـا ** تَعْمـير نـوح في ملـك قـارونِ

وهذا صالح بن عبد القدوس يعيش مأساة عماه أيضاً فيقول:

عَـزاءُكَ أَيُّهـا العَـين السَـكوب ** وَدَمعُـك إِنَّهـا نـوب تَنـوبُ
وَكنـت كَـريمَتي وَسـراج وَجهـي ** وَكانَت لـي بِـكَ الـدُنيا تَطيـبُ
فَـإِن أَكُ قَـد ثَكَلتـكُ في حَيـاتي ** وَفـارَقَني بِـكَ الأَلـفُ الحَبيـبُ
فَكُـل قَرينَـة لا بُـدَّ يَومـاً ** سَيَشعَب إلفَها عَنها شَعوب
عَلـى الـدُنيا السَـلامُ فَمـا لِشَـيخ ** ضَرير العَـينِ في الـدُنيا نَصيبُ
يَمـوتُ المَـرءُ وَهـو يَعـد حَيّـاً ** وَيخلـف ظنـهُ الأَمَـل الكَـذوبُ
يَمنـيني الطَبيـبُ شـفاء عَـيني ** وَمـا غَـير الإِلـهِ لَهـا طَبيـبُ
إِذا مـا مـاتَ بَعضُـكَ فَابـك بَعضـاً ** فَان الـبَعضَ مـن بَعـض قَريـبُ [٢]

ومثل هذا النوع من الشعر الذاتي نجده أيضاً عند أبو الشيص الذي عمي في آخر حياته كما يقول الأصفهاني وكانت له مراث في عينيه[٣] فحزن حزناً عميقاً ومضى يرثي عينيه ويبكيهما بأبيات مؤثرة تصور التياعه التياعاً شديداً فهاهو يقول:

يـا نَفـس بَكّـي بِـأَدمُع هُـتُنِ ** وَواكِـفٍ كالجمـانِ في سَـنَنِ
عَلـى دَليلـي وَقائِـدي وَيَـدي ** ونُـورُ وَجهـي وَسـائِسَ البَـدَنِ
أَبكـي عَليهـا بهـا مَخافَـةَ أَن ** يَقـرُنَني والظَـلامُ في قَـرَنِ [٤]

١/ الحيوان: ج٣، ص١٣؛ الورقة ١٠٤.

٢/ اتجاهات الشعر العربي: مصطفى هدارة، ص١٧٦.

٣/ الأغاني: ج١٥، ص١٠٥.

٤/ ديوان أبي الشيص: ص١١١.

فيقول لنفسه: ابكي بالدمع الغزير كأنه الجمان واسكبي العبرات على عينيّ فهي نور وجهي ودليلي وأيضاً هي كل بدني. وقائده ويده إنها كل شيء له إنه يبكيها بها خوفاً من أن يربطه فقدها بعالم الظلام الذي يخافه، إن الأبيات على قصرها تصور تخوفه من العمى وألمه الشديد لفقد عينيه.

ومِمَّا تقدم يتبين أن الرثاء عند أبي الشيص دخلته نواح تجريدية فاتخذ وجهات لَمْ تكن له من قبل وخرج به إلى آفاق أخرى معنوية أو حسية.

الهجاء:

يروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها، نحو قول أوس:

إِذا ناقَةٌ شُدَّت بِرَحلٍ وَنُمرُقٍ ** إِلى حَكَمٍ بَعدي فَضَلَّ ضَلالُها(1)

وقول جرير:

وَلَوَ انَّ تَغلِبَ جَمَّعَت أَحسابَها ** يَومَ التَفاضُلِ لَم تَزِن مِثقالا(2)

ومثل قوله:

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ ** فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا(3)

والهجاء من الفنون القديمة التي وُجدت في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ووجوده أمر طبيعي مع وجود المديح وقد تطور هذا الفن تطوراً كبيراً منذ الجاهلية حتى القرن الثاني وذلك لتغير الأسباب الدافعة إليه.

١/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج٢، ص١٧٠.

٢/ المرجع السابق: ص١٧٠.

٣/ المرجع السابق: ١٧٠.

وشاعرنا أبو الشيص شعره في الهجاء قليل جداً لا يتعـــدى مقطـــوعتين بالمقارنة مع بقية الأغراض.

ومن الاتجاهات الجديدة في الهجاء التي ظهرت في القرن الثاني هجاء المدن وهو يقابل مدح المدن والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها هجاء أبـــو نـــواس للبصرة مع أنه نشأ فيها، يقول:

أَيـــا مَـــن كُنـــتُ بِالبَصـــرَ ** ةِ أُصـــفي لَهُـــمُ الـــوُدّا
وَمَـــن كـــانوا مَـــوالِيَّ ** وَمَـــن كُنـــتُ لَهُـــم عَبـــدا
وَمَـــن قَـــد كُنـــتُ أَرعـــاهُ ** وَإِن مَـــلَّ وَإِن صَـــدّا
شَـــرِبنا مـــاءَ بَغـــدادَ ** فَأَنســـاناكُم جِـــدّا
فَـــلا تَرعـــوا لَنـــا عَهـــداً ** فَمـــا نَرعـــى لَكُـــم عَهـــدا (١)

ومن قول أبو الشيص في هجاء بغداد:

بَغـــدادُ بعـــداً لا سَـــقى ** ساحاتُها صَوبُ السِحاب
عمـــر الإِلـــهُ ديارِهـــا ** بالعاويـاتِ مِـن الكِـلاب (٢)

فهو يطلب من الغيث ألا يترل ببغداد ويطلب من الله أن تعمـــر ديارهـــا بالعاويات من الكلاب.

ويستمر في هجاءه لمدينة بغداد والتقليل من شأنها فإذا بات في بغـــداد لا ينام الليل لطوله وإذا ذهب النهار وأتى الليل انتشرت الحشرات بين واحد واثنين لونها أسود كأنها البغال الذي أرسل في المذاود يقول:

١/ ديوان أبي نواس: ص١٣٧.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٤٠.

تطاول في بَغداد ليلي ومن يَبت * * ببغداد يَلبث لَيلَه غير راقد
بلادٌ إذا زالَ النَهارُ تَقافَزَت * * بَراغيثُها ما بينَ مثنى وواحد
ديازجة شهب البُطونِ كأَنَّها * * بغالُ بَريد أَرسلت في المذاود [1]

والهجاء من أقدم الأغراض الأدبية ومن أهم الفنون الشعرية التي طرقها شعراء مشهورون في الأدب العربي على مر العصور وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نعثر في ديوان شاعرنا أبو الشيص إلاَّ على مقطوعتين في هذا الفن. ويبدو أن شاعرنا لَمْ يكن في حاجة لأن يهجو غيره أو يهجوه أحد. فهو له مكانته وشرفه في العصر العباسي كما أن ذلك يدلُّ على طيب أخلاق الشاعر وحسن معشره.

في ذكر الشباب والمشيب:

إن البكاء على الشباب المولى والحياة الصبية الحسناء من الموضوعات التي افتتح بها الشعراء قصائدهم فكان يبكي شبابه ويتوجع على أيامه التي مضت إلى غير رجعة ويرى الهزيمة والضعف أمام عينيه، فشاعرنا يتحسر على شبابه الغابر ويبكي ذلك العهد الجميل الناضر ويتمنى لو رجع الشباب بأيامه المونقات الحسان يقول:

فَهَل لَك يا عيشُ مِن رَجعَةٍ * * بأيّامِك المونقاتِ الحِسانِ
فَيا عَيشَنا والهَوى مُورِقٌ * * لَهُ غُصُنٌ أَخضر العُودِ دانِ
لَعَلَّ الشَبابَ وَريعانَهُ * * يُسَوِّدُ ما بَيَّضَ القادِمانِ
وَهيهاتَ يا عَيشُ مِن رَجعَةٍ * * بِأَغصانِكَ المائِلاتِ الدَواني
لَقَد صَدعَ الشَيبُ ما بينَنا * * وَبَينَك صَدعَ الرِداءِ اليَماني

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥٦.

عَليـــك السَـــلامُ فَكَـــم لَيلَـــةٍ ** جَمـوحٍ دَليـلٍ خَليـعِ العِنـانِ
قَصَــرتُ بــك الَهــوَ في جانِبيــه ** بقَـرعِ الـدُفوفِ وَعَـزَفِ القيـانِ[1]

يتساءل شاعرنا من أن الشباب هل سيعود؟ ولكن الشباب إذا رحل فمن المستحيل عودته وأن أيام الشباب مورقة نضرة ويتمنى لو عاد الشباب ليسوِّد ما بيض القادمان ويصور شاعرنا أيام شبابه وحبه بشجرة مورقة الأغصان ظليلـة فهاهو ينادي الشباب بالعيش. ويتحسر على تلك الأيام الماضية ويخاطبه ويقول له أن الشيب قد حال بيني وبينك وتصدعت العلاقة وبنهايتك قد انتهت معك أيام اللهو والهوى.

ثم يرجع ليخاطب الشيبة التي أبصرها في مفرقة ويجري معها هذا الحـوار ويقول في ذلك:

وَلَقَــد أَقــولُ لِشَــيبة أَبصَــرتُها ** في مَفرقـي فَمَنَحتُهـا إعراضـي
عَنّـي إليـكَ فَلَسـتُ مُنتَهيـاً وَلَـو ** عُمّمـنَ مِنـكَ مفـارقي ببيـاضِ
هَل لي سِوى عِشرينَ عاماً قَد مَضَت ** مَـع سِـتّةٍ في إثـرِهِنَّ مـواضِ
وَلَقَد نزلت بـرأس صـابي القَلـب في ** مَيـدان كُـلّ غوايـة رَكّـاضِ
وَلَقَلّمـا أَرتـاعَ مِنـكِ وإنّـني ** فيما هَوَيتُ وإن وَزَعتِ لماضِ
فَعَليكَ ما آسطَعتِ الظُهور بِلمّتي ** وَعَلـيَّ أَن أَلقـاكِ بـالِمقراضِ[2]

فشاعرنا قد أنزل الشيبة مترلة الإنسان وأجرى معها هذا الحوار فهو قـد أبصرها في مفرقه ولكن قابل ذلك بالنفور والإعراض فإنك إذا ظهـرتِ أم لَـمْ تظهري ولو ملأتِ كل رأسي فإنني لا أعيرك اهتمام وإنني سـوف أمضـي في

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٦.

٢/ المرجع السابق: ص٨٠.

طريقي، ويستمر في مخاطبتها ويقول لها إن عمري ما زال صغير. ويؤكد لها إنها نزلت برأس إنسان لاهي وحبّيب في كل مجالات اللهو له باع طويل نادراً ما اهتم بك وإنني سوف أستمر في لهوي وحبي. فكلما ظهرتِ ورأتكِ عيني فأقصك وأغرضك بالمقراض.

تغنى أبو الشيص كثيراً في شعره بأيام شبابه وذكرياتها العذبة ولاسيما عندما يتغزل بالمرأة أو عندما يتناول الخمر فالشباب عنده مقترن بالمتعة واللذة وهو فترة عنفوان العمر والليالي العامرة باللهو والمرح يقول في ذلك:

أَبقى الزمانُ بِهِ ندوبَ عِضاض ** وَرمى سوادَ قُرونِهِ ببياضِ

نَفَرت بِهِ كأَسُ النَديم وأَغمَضت ** عَنهُ الكواعِبُ أيّما إغماض

وَلَرُبَما جُعلت محاسنُ وَجههِ ** لِجفونِها غَرضاً مِنَ الأغراضِ

حسَرَ المشيبُ قِناعه عَن رأَسهِ ** فَرَمَينَه بالصَدِّ والإِعراضِ

إثنانِ لا تَصبوا النساءُ إليهما ** ذو شيبَة وَمُحالِفُ الإنفاض

فَوَعودهنَّ إِذا وَعَدنَكَ باطلٌ ** وَبُروقُهُنَّ كَواذِبُ الإِيماضِ (1)

يقول شاعرنا إن مصائب الزمان تترك أثراً وتشيب الرأس والذي نزل به الشيب ينفر عنه ندمانه وأيضاً صغار البنات ينفرن عنه نفوراً شديداً ويعرضن عنه. فهنالك شيئان لا تميل إليهما النساء صاحب الشيب والفقير الذي هلكت أمواله وفني زاده.

ولعل في ذلك كله ما يصور براعته في الشعر وكيف كان يحسن نسيجه نافذاً إلى كثير من دقائق المعاني وروائع الصور والأخيلة.

١/ ديوان أبي الشيص: ص٧٥؛ ندوب: جمع ندب، وهو الأثر؛ الإنفاض: الهلاك والفقر، يقال: انفضوا: إذا هلكت أموالهم وفني زادهم.

الحكمة:

هي ثمرة التجارب والنظر الثاقب، والبصيرة النافذة في الناس والحياة وهي ومضات يقدحها احتكاك الرجل بالأحداث أو اصطدامه في مشاكل العيش وخبرته أخلاق الناس. والحكمة وجدت في الشعر الجاهلي في أبيات قليلة منتشرة في القصائد هنا وهناك يأتي بها الشاعر للنصح أو للموعظة ولعل أكثر الشعراء الجاهليين اهتماماً بهذه الناحية زهير بن أبي سلمى وأمية بن أبي الصلت وظل الأمر على ما هو عليه حتى جاء العصر العباسي واتسعت آفاق الثقافة الإسلامية ووسعت علوماً ومعارف وكان أول مظاهر هذا التطور أن شعر الحكمة أصبح موضوعاً لقصائد خاصة به يقصد إليها الشاعر قصداً وبذلك أصبحت الحكمة من الموضوعات الثابتة في شعر القرن الثاني وفي الشعر العربي عامة.

بل نجد شعراء جعلوا الحكمة مداراً لمعظم قصائدهم فعرفوا بذلك واشتهروا بشعرهم الحكمي.

وشاعرنا أبو الشيص لَمْ يكثر من شعر الحكمة ولكنها وجدت طريقها إلى شعره بتأثير ثقافته الواسعة وميله إلى هذا النوع من القول، يقول:

لكُلِّ امرئٍ رِزقٌ ولِلرِّزقِ جالِبُ ** وَليسَ يَفوتُ المَرءُ ما خطَّ كاتِبُه

يُساق إلى ذا رِزقُهُ وَهوَ وادِعٌ ** ويُحرَمُ هَذا الرِزقَ وَهوَ يُطالِبُهُ

يَقولُ الفَتى ثمَّرتُ مالي وإنَّما ** لِوارِثِهِ ما ثَمَّر المال كاسِبُهُ

يُحاسِبُ فيهِ نَفسه بحياتهِ ** وَيَتركهُ نهباً لِمَن لا يُحاسِبُهُ

يَخيبُ الفَتى مِن حَيثُ يُرزَقُ غَيرهُ ** ويُعطى الفَتى مِن حَيثُ يُحرم صاحِبُه (1)

إن الأرزاق موزعة ومقسمة بين الخلق وأن مالكها هو الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحد أن يأخذ أكثر من رزقه وقد يعطي الله الرزق لإنسان من غير

١/ ديوان أبي الشيص: ص٣٢.

أن يشقى ويتعب في طلبه وقد لا يجده الذي يكد ويتعب من أجله ويكون الفتى ذا ثروة كبيرة وأموال طائلة لكنه لا يهنأ بهذه الأموال وإنما يهنأ بها الذي يرثها منه وإنه يكون حذراً في استخدامه لهذه الأموال وفي النهاية يتركها لشخص آخر.

فكان من المنتظر من أبي الشيص أن يكثر في هذا الغرض ولكن ربما يكون شعره في الحكمة قد ضاع مع ما ضاع من شعره.

العتاب:

العتب الموجدة العتاب، يمكن بمعنى الاعتتاب، وإنما العتب والعتاب بمعنى لومك الرجل على إساءة كانت عليك[١].

ويرى ابن رشيق أن العتاب هو حياة المودة وشاهد الوفاء فهو من باب من أبواب الخديعة، يسرع إلى الهجاء، ولكن من أسباب القطيعة والجفاء فإذا قل كان داعيه الألفة وقيد الصحبة، وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه[٢]. وديوان شاعرنا خالي من قصائد العتاب ما عدا أربع مقطعات يعاتب في إحداها صديقه محمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمي وكان صديقاً له، وقد نال رتبة عند سلطانه واستغنى وجفا أبا الشيص وتغير له فكتب إليه:

الحَمدُ لِلَّهِ رَبَّ العالمينَ عَلى ** قُربي وَبُعدك مِني يا ابن إِسحاقِ
يا لَيتَ شِعري مَتى تَجدي عَليَّ وَقَد ** أَصبَحتَ رَبَّ دَنانيرٍ وَأوراقِ
تجدي عَليَّ إِذا ما قيلَ مِن راق ** وَالتفَّتِ الساقُ عِندَ المَوتِ بالساقِ

١/ لسان العرب: لابن منظور محمد بن مكرم، مادة (عتب) ص٢٢.

٢/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج٢، ص١٦٠.

يَــومٌ لِعَمــري تَهــمُّ النــاسُ أَنفُسُــهم ** وَلَــيسَ تَنفَــعُ فيــهِ رُقيَــةُ الراقِــي [1]

يقول شاعرنا إنني أحمد الله رب العالمين على إنني قريب منك وأنت بعيد مني وأتمنى متى تكون قريباً وإنك أصبحت تملك الأموال والأوراق يســأله مــتى يرجع إليه وفي أي يوم هل هو يوم القيامة يوم لا تنفع فيه رقية الراق.

وفي ذم الأخوان والرفقاء وما يجري ذلك، يقول أبو الشيص:

وَصــاحِبٌ كــانَ لــي وَكُنــتُ لَــهُ ** أَشــفَقَ مِــن والِــدٍ عَلــى وَلَــدِ

كُنــا كَســاقٍ يَمشــي بِهــا قَــدَمُ ** أو كــذراعٍ نيطَــت إِلى عَضُــدِ

حَتــى إِذا دانَــت الحَــوادِثُ مِــن ** خَطوي وَحلَّ الزمانُ مِن عُقَدي

أحــوَلَّ عَنّــي وَكــانَ ينظُــرُ مِــن ** عَيني وَيَرمـي بِساعِدي وَيَـدي

وَكــان لــي مؤنســاً وَكُنــتُ لَــهُ ** لَيسَـت بِنـا حاجَـةٌ إِلى أَحـدِ

حَتــى إِذا اِســتَرفَدَت يَــدي يَــدَهُ ** كُنــتُ كَمُســتَرفِدٍ يَــدَ الأَسَــدِ [2]

يقول إن صديقه هذا كان صديقاً مخلصاً وشفوقاً عليه وفي عطفــه عليــه بمثابة الوالد إلى ولده وكان في صداقته له يشبهها بالساق للقــدم أو كــالزراع والعضد حتى إذا قربت مني حوادث الدهر تغيرت لي فإنني كنت عينه الذي ينظر بها ويده التي يرمي بها وكنا معه كالشيء الواحد وكان جليسي وأنيســي فــإذا اجتمعنا معه لا نحتاج لأحد حتى إذا استرفدت يدي بيده كأنني استرفدت يــد الأسد. ويعاتب صاحبه الذي أعرض عنه وصدّ، يقول:

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٦.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٥٢.

يـــــا معرضــــــاً متغضــــــباً ** نفـــس فـــداؤك مُعرضــــا [1]

هـــبني أســـأت ومـــا أســـأت ** بلـــى أســـأت لـــك الرضـــا

أعـــــزل صـــــدودك جانبـــــاً ** واغفـــر لعبـــدك مـــا مضـــى

يقول لصديقه إن نفسي فداؤك ورغم ذلك إنك غضبان مني ومُعرضاً عني وإنك تظنني أسأت لك وأنا لَمْ أُسئ إليك فلك العذر والرضا فاترك صـــدودك وإعراضك عني واغفر لي ما مضى. وفي عتاب أخ له:

يـــا أخـــاً كـــان يفـــزع الـــدهر ** من ذكرى له عند نائبات الحقوق

كنت تحتل حبة القلب من صدري ** وتجـري مجـرى دمـي في عروقـي

كنت مني مكان بعض من بعض ** فأصـــبحت مـــن مـــدى العيـــوق

إن بـدت حاجـة إليـك أحلـتني ** مكـــان البعيـــد منـــك الســـحيق [2]

إن أخي هذا كنت عندما أذكره في النائبات يفزع الدهر من ذلك فكانت له مكانة مرموقة عندي وكأني معك شخصين في جسد واحد فكنت قريب مني فأصبحت بعيداً مني.

الفخر:

هو لون من ألوان المدح غير أن الشاعر يخص به نفسه وقومه كما يقـــول ابن رشيق: "والافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار"[3].

١/ مجلة عالم الكتب: المؤسسان عبد العزيز الرفاعي، عبد الرحمن المعمر، المجلد السادس، العدد الأول، الناشر دار ثقيف للنشر والتأليف، الرياض، المملكة العربية الســعودية، رجــب ١٤٠٥هـــ- إبريل ١٩٨٥م، ص١٠٨.

٢/ مجلة عالم الكتب: ص١٠٩.

٣/ العمدة في صناعة الشعر ونقده: لابن رشيق القيرواني، ج٢، ص١١٥.

"ولقد اتفق مؤرخو الأدب أن يجعلوا الفخر والحماسة باباً واحـــداً لِمـــا بينهما من الاتصال الوثيق لأنَّ الحماسة ليست سوى فخر الفارس ببطولته وذكر وقائعه ووصف فرسه وسلاحه"[١].

والفخر من الأغراض التي شغلت حيزاً كبيراً في ديوان الشـــعر العـــربي وميدانه ميدان واسع كان يقود الشعراء إلى التغني بكل ما يظهر مثالية شجاعتهم وقوتهم وشدة بأسهم وكرم أصولهم وأنسابهم وأحسابهم ومزاياهم التي ينفردون بها عن الناس فقد يفتخر الشاعر بالصفات التي يحبها في الآخـــرين ولا يكـــون متحلياً بها إنما يفخر بما يهواه ويؤمن بمثاليته، وهو يكـــون في لحظـــات القـــوة والانتصار صدىً لِما في النفس وترديداً لِما في الواقع، كما إنه يكون في وقـــت المحن واشتداد الخطوب عندما لا يعرف طريق الخلاص إلاَّ من خلال الافتخـــار والتغني بالأمجاد[٢].

وقد كان الفخر من أقل الأغراض في شعر شاعرنا أبو الشيص وربَّما أهمل أوضاع وفي ديوانه لَمْ نجد غير مقطوعتين إحداهما تتحدث عن فخـــره بنفســـه يقول:

فـــديتك إنمـــا اخترنـــاك عمـــداً ** بأنـــك لا تحـــيض ولا تبـــيض

ولـــو ملنـــا إلى وصـــل الغـــواني ** لضـــاق بنسـلنا البلـد العـريض[٣]

١/ أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام: بطرس البستاني، دار هارون عبود، ١٩٧٩م، ج١، ص٤٦.

٢/ المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي: محمد صادق حسن عبد الله، مكتبة النهضـــة المصـــرية، ١٩٩٤م، ص٤٤٠.

٣/ مجلة عالم الكتب: ص١٠٨.

والأخرى في مخاطبة الدهر يقول:

يـا أَيُّهـا الـدَهرُ أَقصِـر عِـن تَنقُّصِـنا ** فَلَستَ مُنتَهياً عَن غَشـمِنا أَبَـدا
أَضـحى سِـنانُ قَنـاتي بَعـدَ حِدَتـه ** مَرَّت بهِ عَثَراتُ الدَهر فانفصَدا [1]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥١.

الفصل الرابع

الموسيقى في شعره

المبحث الأول

الموسيقى الخارجية

المبحث الثاني

الموسيقى الداخلية

المبحث الثالث

مكانته الشعرية ومدى تأثره وتأثيره

المبحث الأول
الموسيقى الخارجية

تؤلف الموسيقى عنصراً هاماً من عناصر الشعر بما تتوسل به من وزن وتقفية وغيرها من مصادر الإيقاع الشعري، وألوان الجرس اللفظي، والموسيقى حد الشعر، وسمته الفارقة، يستخدمها الشاعر ليناسب بينها وبين المواقف المصورة، ويلائم بين الإيقاع وحالاته الفنية الخاصة، وبين القافية وألفاظ البيت ودلالاتها. والموسيقى قسيم الفنون جميعاً فهي تطهر النفوس بإعادتها ونسقها بعد أن اضطربت واختل نظامها وترجع بها إلى سوائها الوجداني، وتعيد لنا النظام الطبيعي لمشاعرنا وأحاسيسنا، بما لها من قوة خفية ساحرة قادرة[1].

ولذا فدراستنا في هذا الفصل تقوم على مبحثين اثنين:

الأول: الموسيقى الخارجية وما يتصل بها من أوزان وقواف وما إلى ذلك.

الثاني: الموسيقى الداخلية وما يتصل بها من جرس لفظي وأدوات تشكيله.

الموسيقى الخارجية:

أولاً الأوزان:

عني الشعر العربي بالأوزان عناية كبيرة إذ إن الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية[2].

١/ الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي: دكتور علي إبراهيم أبو زيد، طبع دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١م، ص٣١.

٢/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج١، ص١٣٤.

والشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي: اللفظ، الوزن، المعنى، والقافية. فهذا هو حد الشعر[1]. والفرق بين الشعر والنثر بالوزن... والتقفية[2]. لذلك كان الشعر مهتماً بإرضاء الآذان فلا يُلقى إلاَّ ما تستريح إليه، فإذا تهاون الشاعر فأخل بالوزن، أو تهاون فلم يعطِ القافية حقها لَمْ يغتفر السامعون ولا النقاد له ذلك[3].

ومن كل ما تقدم يتضح ما للوزن من مكانة عظيمة في صنعة الشعر. أمَّا الأوزان عند شاعرنا أبو الشيص فقد وجدت العناية الكبيرة في نظمه فنظم أحد عشر بحراً هي: الكامل، الطويل، البسيط، الخفيف، السريع، المتقارب، الرجز، المنسرح، الوافر، الهزج، المجتث. وقد أهمل خمسة بحور هي: الرمل، المقتضب، المديد، المتدارك، المضارع. فاتضح ذلك من خلال استقراءنا لقصائد ديوانه ومقطوعاته. وسنقف الآن عند دراسة البحور التي استخدمها شاعرنا أبو الشيص مبينين ميزان كل بحر وخصائصه عن الآخر.

بحر الطويل:

أجزاء الطويل ثمانية:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ** فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطويل في نسبه بشيوعه فقد جاء

١/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج١، ص١١١.

٢/ سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، الأمير أبو محمد عبد الله محمد بن سعد، شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدي، مطبعة صبيح القاهرة، ١٩٦٩م، ص٢٧٩.

٣/ الأصول الفنية للشعر الجاهلي، د. سعد إسماعيل شلبي، مطبعة حدائق القبة، نشر مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٢٢.

ما يقرب من ثلث الشعر العربي من هذا الوزن[1]. وأن القدماء كانوا يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن[2]. وقد أفاض الدكتور عبد الله الطيب في المدح والثناء على هذا البحر الخضم وقال فيما قال عنه: "... وقد كانت العرب تلقي القصص في أشعارهم على سبيل التلميح والإشارة لَمَّا كان بحر الطويل رحيب الصدر طويل النفس فإن العرب وجدت فيه مجالاً أوسع للتفصيل في داخل نطاق التلميح والإشارة، مِمَّا كانت تجده في غيره من الأوزان ولهذا فقد كان أصلح من غيره لتسجيل الأخبار والأساطير"[3]. وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط، ومن ترسل المثقل المحض دون خفاه وضيقه، وسلم من جلية الكامل وكزازة الرجز، وأفاده الطول أُبهة وجلال، فهو البحر المعتدل حقاً. وشاعرنا أبو الشيص فقد وجدنا له في ديوانه قصائد ومقطعات ركب فيها بحر الطويل. ومن نظمه فيه قصيدته التي مدح بها عقبة بن الأشعث الخزاعي يقول في مطلعها والتي بدأها بالأطلال:

مَرَت عَينَهُ للشوقِ فالدَمعُ مُنسَكِب ** طُلولُ ديارِ الحَيِّ والحيُّ مُغتَرِب[4]

ومقطوعته التي في المديح من عجيب شعره الذي لَمْ يُسبق إليه يقول فيها:

كَريمٌ يَغضُّ الطَرف فَضل حَيائهِ ** وَيَدنو وأَطراف الرِماح دَوانِ[5]

١/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ط٤، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م، ص٩٦.

٢/ المرجع السابق: ص٢٠٩-٢١٠.

٣/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: دكتور عبد الله الطيب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، ج١، ص١٩٨-٤٠٠.

٤/ ديوان أبي الشيص: ص٣٣.

٥/ المرجع السابق: ص١١٢.

وقصيدته:

وَلا أَجمَعَت إِلا عَليكَ جَميعُها * * إِذا ذُكِرَ المَعروفُ أَلبَسهُ العُرفُ[١]

وقصيدته في الحكمة التي يقول فيها:

إِذا ما حِمامُ المَرءِ كانَ ببلدة * * دَعَتهُ إِلَيها حاجَةٌ أَو تطَرُّبُ[٢]

ومقطوعته في وصف الرايات وفي الحرب والقتال يقول:

فَأَوردها بيضاً ظماءً صُدورُها * * وأَصدَرها بالريّ أَلوانُها حُمرُ[٣]

ومقطوعته التي جاء فيها بوصف السم والشهد يقول:

أُعلِّلُ آمالي بِكائِنَت وَلَم تَكُن * * وَذَلِكَ طَعمُ السُّمُ والشهدُ في الكأسِ[٤]

ويعتبر بحر الطويل أكثر البحور وروداً عند شاعرنا أبو الشيص.

بحر الكامل:

أجزاء الكامل ستة:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * * متفاعلن متفاعلن متفاعلن

والكامل من البحور التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء ويكثرون النظم منها، وتألفها آذان الناس في بيئة اللُّغة العربية[٥]. وتــبين

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٥.

٢/ المرجع السابق: ص٣١.

٣/ المرجع السابق: ص٦٦.

٤/ المرجع السابق: ص٧٤.

٥/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ص٢٠٩-٢١٠.

أن هذا البحر قد أصبح معبود الشعراء وهو الذي يستمتع به جمهور السامعين من مُحِبِّي الشعر فإذا وصف القدماء الرجز بأنه مطية الشعراء يمكننا الآن ونحن مطمئنون أن نصف الكامل بأنه مطية شعرائنا المحدثين[١].

ويقول عنه دكتور عبد الله الطيب: "... فهو بحر ركبه الشعراء كثيراً قديمهم وحديثهم لِما فيه من جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر ويجعله إن أريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلواً عذباً مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً شهوانياً، وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أريد به جد أم هزل، ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعاني والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال. ولهذا السبب فإن الشعراء المتفلسفين أو المتعمقين في الحكمة وما إلى ذلك من ضروب التأمل قل أن يصيبوا فيه أو ينجحوا. وذلك بأن الحكمة والتأمل -مهما كانت مناسبتهما- يحتاجان إلى هدوء وتؤدة وفي النظم بخاصة يحتاجان لأن يكون النغم والوزن شيئاً متروياً يصل إلى الذهن من غير ما جلبة ولا تشويش، وكأنه إطار للكلام الموضوع فيه لا جزء هام من صورته ورسمه"[٢].

ومن القصائد والمقطوعات التي ركب فيها أبو الشيص البحر الكامل قوله في قصيدته التي مدح بها الأمير عقبة بن الأشعث الخزاعي وقد استهلها بوصف المشيب والشباب يقول:

أَبقى الزمانُ بهِ ندوبَ عِضاض * * وَرمى سوادَ قُرونهِ ببياضِ[٣]

١/ موسيقى الشعر: ص٢٢٨-٢٢٩.

٢/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها: للدكتور عبد الله الطيب، ج١، ص٢٦٤.

٣/ ديوان أبي الشيص: ص٧٥.

وله قصيدة رائعة نظمها في هذا البحر في رثاء هارون الرشيد وهي من مجزوء الكامل منها قوله:

غَرُبَت بالمَشرِقِ الشَمسُ ** فَقُل لِلعَينِ تَدمَع[١]

وله فيه أيضاً قصائد ومقطوعات غزلية كثيرة. نحو قوله في قصيدة له مشهورة:

وَقَفَ الهَوى بي حَيثُ أَنتِ ** فَليسَ لي مُتأخَّرٌ عَنهُ وَلا مُتَقدَّمُ[٢]

ومثل قوله في مقطوعة له:

قُل لِلطّويلَةِ مَوضع العِقد ** وَلَطيفة الأَحشاءِ والكَبدِ[٣]

ومثل قوله في قصيدة الدرة (اليتيمة) وهي من مجزوء الكامل يقول:

هَل بالطُلولِ لِسائلٍ رَدُّ ** أَم هَل لَها بتَكَلُّمٍ عَهدُ[٤]

ومثل قوله في مقطوعة له في الغزل:

يَرمينَ أَلباب الرِجالَ بأَسهُم ** قَد راشَهُنَّ الكُحلُ والتَهديبُ[٥]

بحر البسيط

أجزاء البسيط ثمانية:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ** مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٤.

٢/ المرجع السابق: ص١٠١.

٣/ المرجع السابق: ص٥٣.

٤/ المرجع السابق: ص١٣٦.

٥/ المرجع السابق: ص٣١.

البسيط بحر كثير الاستعمال كالطويل، وهو يقرب منه أيضاً في استيعاب الأغراض والمعاني المختلفة. فهو أخو الطويل في الجلالة والروعة. إلاَّ أن الطويل أعدل مزاجاً منه، ويقصد بالبسيط أن فيه بقية من استفعالات الرجز ذات دندنة تمنع نغمة أن يكون خالص الاختفاء وراء كلام الشاعر وكامل النزول منه بمنزلة الجو الموسيقي الذي يكون من الشعر كالإطار من الصورة ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف، أو اللين وتكاد صيغته على وجه الإجمال تكون إنشائية إذا افترضنا في الطويل صبغة خبرية(١). وهو من ناحية أخرى يفوق الطويل رقة وجزالة ولهذا قد قلَّ في شعر الجاهليين وكثر في شعر المولدين ومَن بعدهم، ومن أمثلته في القديم معلقة النابغة، وفي شعر العباسيين بائية أبي تمام في عمورية، وقصيدة الرندى في رثاء الأندلس، وقد جرى معظم أصحاب البديعيات والمدائح النبوية والأناشيد الدينية على ركوب هذا البحر رائدهم في ذلك كعب ابن زهير في قصيدته (بانت سعاد)(٢).

وقد استخدمه شاعرنا أبو الشيص في كثير من أغراضه الشعرية وركبه في قصيدته التي يعاتب فيها صديقه محمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمي فقد كان نعم الصديق لكنه نال رتبة في السلطان فاستغنى عن أبي الشيص مثال قوله:

الحَمدُ لِلَّهِ رَبَّ العالمينَ عَلى ** قُربي وَبُعدك مِني يا ابن إِسحاقِ(٣)

ومثل قوله في عتابه أيضاً:

يَومٌ لِعَمري تَهمُّ الناسُ أَنفُسُهم ** وَليسَ تَنفَعُ فيهِ رُقيَة الراقي(٤)

١/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: دكتور عبد الله الطيب، ج١، ص٤٥٢.

٢/ سفينة الشعراء: محمود فاخوري، ط٢، ١٩٧٤م، ص٦٢-٦٣.

٣/ ديوان أبي الشيص: ص٨٦.

٤/ المرجع السابق: ص٨٦.

ومثل قوله في مقطوعته في وصف أصحاب يعقوب حينما حبسهم المهدي:

أَبلغ إِمام الهُدى أَن لستَ مُصطَنِعاً ** لِلنَّائباتِ كَيعقوب بن داودِ
أَمسى يَقيكَ بِنَفسٍ قَد حباك بها ** والجودُ بالنَفسِ أَقصى غايةِ الجودِ
نَصَبت لِلنّاس يَعقوباً فَقَوَّمَهُم ** كَما الثَقافِ مُقيمُ كلّ تأويدِ
لَو تَبتَغي مِثله في النَاسِ كلُّهم ** طَلبتَ ما ليسَ في الدُنيا بموجودِ[1]

بحر الخفيف:

أجزاؤه ستة:

فاعلاتن مستفعِ لُن فاعلاتن ** فاعلاتن مستفعِ لُن فاعلاتن

هذا الوزن قد بدأ متواضعاً في الشعر الجاهلي لا تزيد نسبته عن الرمل والمتقارب وأمثالهما ثم نهض نهضة كبيرة في الشعر العباسي ولَمْ يكد ينتصف القرن الرابع الهجري حتى شهدناه يحتل المرتبة الثانية من أوزان الشعر العربي منافساً في هذا الوزن البسيط ووزن الوافر[2].

والخفيف من أخف البحور على الطبع، وأكثرها طلاوة على السمع، وهو يشبه الوافر ليناً، ولكنه أكثر سهولة وأحسن انسجاماً، مِمَّا يجعله أقرب إلى القول المنثور. وقربه هذا من النثر بادٍ على أكثر ما نظم عليه، إلاَّ أن الشاعر إذا أجاد فيه استطاع أن يزيل عنه صفة النثرية تلك ويسبغ عليه نغماً أليفاً، ولحناً خفيفاً، ومعنىً لطيفاً، وليس في بحور الشعر بحر نظيره يصلح للتعرف في جميع المعاني فخراً، وحماسة، وغزلاً، ومديحاً، ورثاءً، ووصفاً، وعتاباً، وحكمة. وما أكثر

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥٥.

٢/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ص١٢.

القصائد التي تنسب في وزنها إلى هذا البحر عند المتنبـــئ وبشـــار والبحتـــري والمعري[1].

ولشاعرنا أبو الشيص قصيدة في بحر الخفيف يرثي بها غلاماً سقط قتيلاً في ساحات القتال يقول:

في رداءٍ مِنَ الصَفيح ثَقيلٍ ** وَقميصٍ مِنَ الحَديد مُذالِ[2]

وله أيضاً في ذكر الأطلال والرسوم الدوارس:

ربعُ دارٍ مُدَرَّس العَرَصاتِ ** وَطُلول مَمحوَّة الآياتِ[3]

وله قصيدة في مدح هارون الرشيد يقول:

لا تَغضُّ الريّاحُ مِن شأوِها إِلا ** وَهُنَّ الطَلائِح الأَنضَاءُ[4]

وله مقطوعة أيضاً عن الحرب والقتال يقول:

وَخَميس يَلفُّهُ في خَميسٍ ** في سَحابٍ مِن الرَدى هَطّالِ[5]

بحر المتقارب:

أجزاؤه ثمانية:

فعولن فعولن فعولن فعولن ** فعولن فعولن فعولن فعولن

١/ سفينة الشعراء: محمود فاخوري، ص٤٢-٤٣.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٩٣.

٣/ المرجع السابق: ص٤٥.

٤/ المرجع السابق: ص٢٨.

٥/ المرجع السابق: ص٩٤.

من البحور المتوسطة الشيوع في الشعر العربي ويقول عنه دكتور عبد الله الطيب: "وبحر المتقارب سهل يسير ذو نغمة واحدة متكررة في ستة عشر مقطعاً وأقل ما يقال عنه إنه بحر بسيط النغم مطرد التفاعيل منساب طبلـــي الموســـيقى ويصلح لكل ما فيه تعداد الصفات وتلذذ بجرس الألفاظ وسرد الأحداث في نسق مستمر والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته في إظهار شيء فيه ولـــذلك تجويد الصناعة فيه أمر مهم جداً"(١).

وقد نظم شاعرنا في هذا البحر قصائد ذوات أغراض مختلفة منها قصيدته التي قالها في وصف الغراب، يقول:

أَشاقَكَ والليل مُلقي الجِران ** غُرابٌ يَنوحُ عَلى غُصنِ بانِ(٢)

ثم قصيدته التي يتحدث فيها عن الشباب يقول:

لَعَلَّ الشَبابَ وَرَيعانَهُ ** يُسَوِّدُ ما بيَّضَ القادِمانِ(٣)

بحر السريع:

أجزاءه ستة وهي:

مُستفعِلُنْ مستفعِلُن مفعولاتُ ** مُستفعِلُنْ مستفعِلُن مفعولاتُ

بحر السريع من البحور المتوسطة الشيوع في الشعر العـــربي ونســـبته في دواوين الشعراء العرب متأرجحة بين القلة والكثرة ولعل هذا التـــأرجح جعـــل الكثير من النقاد يختلفون في الحكم على موسيقاه فقد ذهب صـــاحب ســـفينة الشعراء "إلى أن هذا البحر يتدفق عذوبة وسلاسة" ويحسن فيه الوصف وتمثيـــل

١/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: دكتور عبد الله الطيب، ج١، ص٣٧٧.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٥.

٣/ المرجع السابق: ص١٠٦.

العواطف ومع هذا فهو قليل جداً في شعر الجاهليين وقليل في العصور التالية فقد نظم عليه بعض شعراء العصر العباسي وما بعده ولاسيما في الرثاء والموضوعات التي تتصل بالعاطفة برباط وثيق.

وذهب صاحب موسيقى الشعر إلى أن هذا البحر أصبح شعراؤنا ينفرون منه وموسيقاه. والحق إننا حين ننشد شعراً من هذا البحر نشعر باضطراب في الموسيقى لا تستريح إليه الآذان إلاَّ بعد مران طويل وذلك لقلة ما نظم منه وأغلب الظن أن هذا البحر سينقرض مع الزمن[1]. ومهما يكن من أمر في اختلاف النقاد في موسيقى هذا البحر فإن شاعرنا أبو الشيص قد نظم به مقطوعات وقصائد ومن ذلك مقطوعته في خادم أبي دلف الذي يخاف العين على صدره فقال فيه:

يُحاذِر العَين عَلى صَدرِهِ ** فالجَيبُ منه الدَهر مَزرورُ[2]

وقصيدته التي قالها في قينة يتعشقها كانت لرجل من أهل بغداد فكان أبو الشيص يختلف إليها وينفق عليها وكان قد ضربها هذا الرجل يقول في ذلك:

يَقولُ والسَوطُ عَلى كَفّهِ ** قَد حَزَّ في جِلدَتِها حَزّا[3]

ومقطوعته في الغزل يقول فيها:

يا حبَّذا الزَور الَذي زارا ** كأَنَّهُ مُقتَبسٌ نارا[4]

١/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ص١٠٢.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٦٣.

٣/ المرجع السابق: ص٦٧.

٤/ المرجع السابق: ص٥٧.

بحر الرّجز:

أجزاء الرَّجز ستة:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

سُمِّي بذلك لاضطرابه. ويقال للناقة التي يرتعش فخذاها (رجزاء) وإنما كان هذا البحر مضطرباً لأنه يجوز حذف حرفين من كل جزء منه ويكثر فيه دخول العلل والزحافات، ويستعمل تاماً، ومجزوءً، ومشطوراً، ومنهوكاً، فهو أ أكثر الأبحر تغيراً لا يثبت على حال واحدة وفي هذا ما يسهل على الشعراء أن ينظموا عليه لذا أطلق القدماء عليه اسم (حمار الشعراء) وكان فيما مضى مطية للشعر التعليمي إذ ينظمون عليه مختلف المتون من نحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، ومصطلح حديث، ألفية ابن مالك وغيرها[١]. وقد امتطى شاعرنا حمار الشعراء في مجزوء الرجز نحو قوله:

ما فَرَّقَ الأَحبابَ بعدَ * اللَهِ إِلا الإبلُ[٢]

بحر المُنسَرِح :

أجزاءه ستة:

مستفعلن مفعولات مستفعلن * مستفعلن مفعولات مستفعلن

بحر المنسرح مثل بحر السريع يأتي بنسب متأرجحة في الشعر العربي وهو أيضاً من البحور القليلة الشيوع وقد علل لنا ذلك صاحب موسيقى الشعر بقوله: "هذا هو البحر الثاني الذي أبى معظم شعرائنا المحدثين النظم منه أو لَمْ يستريحوا إليه وإلى موسيقاه ونحن حين نقرأ قصائده لا نكاد نشعر بانسجام في موسيقاه

١/ سفينة الشعراء: محمود فاخوري، ص٧٣.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٩٥.

ويخيل إلينا أن الوزن مضطرب بعض الاضطرابات فقد هجرة المحدثون ، أمَّا القدماء فقد نظموا منه على قلة أيضاً وإن كثرة قصائده في عصور العباسيين وتنوع وزنه بعض التنوع"[1].

ومهما يكن من شيء فإن شاعرنا قد ركب هذا البحر في قصائده ومقطوعاته وله فيه قصيدته التي يرثي فيها هارون الرشيد ويمدح الأمين يقول:

جَرَت جوارِ بالسَعدِ والنَحسِ ** فَنحنُ في وَحشَةٍ وَفي أُنس[2]

وقصيدته التي بكى فيها عينيه يقول:

عَلى دَليلي وَقائِدي وَيَدي ** ونُورُ وَجهي وَسائِسَ البَدَنِ[3]

بحر الوافر:

أجزاء الوافر ستة:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن ** مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

الوافر ألين البحور وزناً وأكثرها مرونة، يشتد إذا شددته، ويرق إذا رققته، وهو في كل الحالتين يشيع فيه نغم جميل، وموسيقاه عذبة، تنساب في ثنايا أجزائه، ويصلح كثيراً للفخر، والحماسة، والوصف، والرثاء، وهو من أكثر البحور استعمالاً ومنه معلقة عمرو بن كلثوم ومرثية ابن الأنباري، وقصيدة المتنبئ في الحمى، وكلها تدل على مرونة هذا البحر وطواعيته لكثير من المعاني[4].

١/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ص١٠٦-١٠٧.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٦٨.

٣/ المرجع السابق: ص١١١.

٤/ سفينة الشعراء: محمود فاخوري، ص٣١.

وقد طرق شاعرنا في نظمه في هذا البحر في مقطوعته التي من لطيف شعره في التباكي ووصف الدموع يقول في ذلك:

وَقائلَةٍ وَقَد بَصُرَت بدَمعٍ ** عَلى الخدَين مُنحَدرٍ سكوبِ[١]

ومقطوعته في التباكي أيضاً قوله:

وَكُنتُ إِذا رأَيتُ فَتىً يَبكي ** عَلى شَجَن هَزأَت إِذا خَلوتُ[٢]

بحر الهزج:

أجزاء الهزج أربعة:

مفاعيلن مفاعيلن * مفاعيلن مفاعيلن

بتحريك الهاء والزاي وسُمِّي بالهزج تشبيهاً له بهزج الصوت أي تردده أو لأنَّ العرب كثيراً ما تهزج به أي تتغنى به كل ذلكَ لما فيه من خفه وصوت مضطرب[٣]. ويرجح صاحب موسيقى الشعر، إن الهزج إنما هو تطور لمجزوء الوافر جاءت به عصور الغناء أيام العباسيين ولَمْ يكن معروفاً أيام الجاهليين فقد تطور الوافر أولاً باقتطاع التفعيلة الأخيرة منه بذلك تكون المجزوء. ثم نظم هذا المجزوء بحيث يوافق الغناء العباسي[٤].

وشاعرنا أبو الشيص له قصيدة في هذا البحر مفتتحها بالخمر يقول فيها:

نَهى عَن خُلَّة الخَمرِ ** بَياضٌ لاحَ في الشَعرِ[٥]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٤٣.

٢/ المرجع السابق: ص٤٦.

٣/ سفينة الشعراء: محمود فاخوري، ص٩٥.

٤/ موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، ص١٢٣.

٥/ ديوان أبي الشيص: ص٦٠.

ومقطوعته أيضاً التي يشبه فيها الدم بالأشقر من الخيل يقول فيها:

وَيومَ تَستَوي فيهِ ** شياتُ الشُقرِ والشُهبِ[1]

بحر المجتث:

أجزاء المجتث أربعة وهي:

مستفعِ لُن فاعلاتُنْ ** مستفعِ لُن فاعلاتُنْ

يقال اجتث الشيء: قطعه. وسُمِّي هذا الحر بالمجتث لانقطاعه من البحر الخفيف بتقديم (مستفعلن) على (فاعلاتن) ولذا فإنهما يتوافقان في التغيرات التي تلحق أجزاءهما[2].

وهذا البحر طرب له الشعراء المحدثون فأكثروا من نظمه ولاسيما في مسرحياتهم، ولا نكاد نعلم شيئاً عن هذا الوزن قبل عصور العباسيين حين بدأ الشعراء ينظمون من مقطوعات قصيرة أغلب الظن أنها كانت تلحن ويتغنى بها، وقد ظلت نسبة شيوع هذا البحر في الأشعار القديمة ضئيلة حتى جاء المحدثون فنهضوا به واستعذبوا الوزن وموسيقاه وربما كان من أكثر شعرائنا المحدثين نظماً من غير المسرحيات حافظ إبراهيم[3].

ومن قصائد شاعرنا التي نظمها على هذا البحر مقطوعته التي نظمها في المجون وفي الغزل قوله:

أَمّا وَحُرمةِ كأس ** مِن المُدام العَتيقِ
وَعقد نَحرٍ بنَحرٍ ** وَمَزج ريقٍ بريقِ[4]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٤١.

٢/ سفينة الشعراء: محمود فاخوري، ص٧٩.

٣/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ص١٢٧.

٤/ ديوان أبي الشيص: ص٩١.

ثانياً- القافية:

من الأشياء التي يقوم عليها الشعر بعد النية[1]. وهي ضرورية لاستقامة الشعر وهي من العناصر الأولى في إيقاعه وقد تم اكتشافها ومعرفتها قبل التوصل إلى معرفة الوزن، وهذا الترتيب يتفق مع الطبيعة لأنَّ إدراك التماثل بين كلمتين في مقطع أول أو أخير أيسر كثيراً من إدراك التماثل في النسب بين مجموعتين من المقاطع[2].

والقافية قد اختلفوا فيها، فقال الخليل: هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، وقال الأخفش: "هي آخر كلمة في البيت أجمع وإنما سُمِّيت قافية لأنها تقفو آخر الكلام، أي تجيء في آخره ومنهم من يسمي البيت قافية، ومنهم من يسمي القصيدة قافية، ومنهم من يجعل حرف الروي هو القافية"[3].

والجيد المعروف من هذه الوجوه قول الخليل والأخفش فقول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً * كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

القافية في هذا البيت عند الخليل (من عل) وعند الأخفش (عل) وحده فقس على هذا جميعه[4].

١/ العمدة: لابن رشيق القيرواني: ج١، ص١١٩.

٢/ موسيقى الشعر العربي: شكري محمد عياد، طبع دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ص١٠٢.

٣/ الوافي في العروض والقوافي: أبو بكر زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٢٢٠.

٤/ المرجع السابق: ص٢٢٠-٢٢١.

وبعد فقد وجدت القافية اهتماماً كبيراً من نقاد الشعر قديمهم وحديثهم فأبانوا جيدها من رديئها وأنواعها وما تقوم عليه، ما يدلُّ على مكانتها في الشعر.

ولنعرض على ضوء ما تقدم لأنواع القوافي عند شاعرنا أبو الشيص:

١/ القوافي الذلل:

وحروفها الباء، والتاء، والراء، والعين، والميم، والنون، والكاف، والفاء، والسين، والجيم، والحاء، والدال[١].

فالباء أتى بها أبو الشيص في أكثر من موضع في قصائده ومقطوعاته كما في قوله في مقطوعته التي تتألف من خمسة أبيات:

لكُلِّ امرئٍ رِزقٌ ولِلرّزقِ جالِبُ ** وَليسَ يَفوتُ المَرءُ ما خطَّ كاتِبُه
يُساق إلى ذا رِزقُهُ وَهوَ وادِعٌ ** ويُحرَمُ هَذا الرِزقَ وَهوَ يُطالِبُهُ
يَقولُ الفَتى ثمَّرتُ مالي وإنَّما ** لِوارِثِهِ ما ثَمَّر المال كاسِبُهُ
يُحاسِبُ فيهِ نَفسه بحياتهِ ** وَيَتركُهُ نهباً لِمَن لا يُحاسِبُهُ
يَخيبُ الفَتى مِن حَيثُ يُرزَقُ غَيرهُ ** ويُعطى الفَتى مِن حَيتُ يُحرم صاحِبُه[٢]

وقوله:

خَلَعَ الصِبا عَن مَنكبَيهِ مَشيب ** فَطَوى الذَوائب رأَسهُ المَخضوبُ[٣]

وقوله:

فَغَّيَرَ مَغناها وَمحَّت رسومَها ** سَماءٌ وأَرواحٌ وَدَهرٌ لَها عَقَب[٤]

١/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: دكتور عبد الله الطيب، ج١، ص٤٤.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٣٢.

٣/ المرجع السابق: ص٣٠.

٤/ المرجع السابق: ص٣٤.

والتاء أتى بها في موضعين من قصائده قال أبو الشيص:

ربعُ دارٍ مُدَرَّس العَرَصاتِ ٭٭ وَطُلول مَمحوَّة الآياتِ[1]

وقال أبو الشيص:

وَكَم مِن ميتَةٍ قَد مِتُّ فيها ٭٭ وَلَكِن كانَ ذاكَ وَما شَعَرتُ[2]

والدال جاء بها في أكثر من موضع قال أبو الشيص:

جَلا الصبُّحُ أَونيّ الكَرى عَن جفونهِ ٭٭ وَفي صَدرهِ مِثلُ السِهامِ القَواصِدِ[3]

وقوله:

أَضحى سِنانُ قَناتي بَعدَ حِدَته ٭٭ مَرَّت بهِ عَثَراتُ الدَهر فانفصَدا[4]

وقوله:

وَكانَ لي مؤنِساً وكُنتُ لَهُ ٭٭ لَيسَ بنا حاجةٌ إِلى أَحدِ[5]

والراء أتى بها شاعرنا أبو الشيص في أكثر من تسعة مواضع وبذا تكـــون أكثر قصائد أبو الشيص رائية القافية.

قال أبو الشيص:

تَخشَعُ شَمسُ النَهارِ طالِعةً ٭٭ حينَ تَراه وَيَخشَعُ القَمَرُ[6]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٤٥.

٢/ المرجع السابق: ص٤٦.

٣/ المرجع السابق: ص٥٠.

٤/ المرجع السابق: ص٥١.

٥/ المرجع السابق: ص٥٢.

٦/ المرجع السابق: ص٥٨.

وقوله:

يا حبَّذا الزَور الَذي زارا * * كأَنَّهُ مُقتَبسٌ نارا[1]

وقوله:

وَقَد أَغدو وَعين الشمس * * في أَثوابها الصُّفر[2]

وقوله:

يُحاذِر العَين عَلى صَدرِهِ * * فالجَيبُ عَنه الدَهر مَزرورُ[3]

وقوله:

وَلَكِنَّها قَلبُ امرىءٍ ذي حَفيظَة * * تَرى ضَيعة الأَسرار قاصِمةَ الظَهر[4]

أمَّا السين فقد أتى بها أبو الشيص في أكثر من أربع مواضع، قال:

العَينُ تَبكي والسِنُّ ضاحِكَةٌ * * فَنَحنُ في مأتم وَفي عُرس[5]

وقال:

ما كانَ أَخصَبَ عَيشِنا بك مرَّة * * أَيامَ ربعُك آهِلٌ مأنوسُ[6]

وقال:

أُعلِّلُ آمالي بِكانَت وَلَم تَكُن * * وَذَلِكَ طَعمُ السُّم والشهدُ في الكأسِ[7]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٥٧.

٢/ المرجع السابق: ص٦٠.

٣/ المرجع السابق: ص٦٣.

٤/ المرجع السابق: ص٦٤.

٥/ المرجع السابق: ص٦٨.

٦/ المرجع السابق: ص٧٠.

٧/ المرجع السابق: ص٧٤.

أمَّا العين فلم يأت بها أبو الشيص خلا مرة واحدة في قوله:

غَرُبَت بالمَشرِق الشَمـ * * ـسُ فَقُل لِلعَينِ تَدمَع[1]

أمَّا الفاء فصعبة جداً... مع أن أصولها في المعاجم أكثر من أصول القاف لذلك أتى بها شاعرنا مرة واحدة في قوله:

وَلا أَجمَعَت إِلا عَليكَ جَميعُها * * إِذا ذُكِرَ المَعروفُ أَلبَسهُ العُرفُ[2]

أمَّا الكاف فقد جاءت في قوله:

فَريتَ بِسيف اللَهِ هام عَدوّه * * وَطأطأت للإِسلام ناصية الشركِ[3]

أمَّا اللام فقد جاء بها أبو الشيص في أكثر من سبعة مواضع في قوله:

في رداءٍ مِنَ الصَفيح ثَقيلٍ * * وَقميصٍ مِنَ الحَديد مُذالِ[4]

وقوله:

وَما عَلى ظَهرِ غِراب * * البَين تُطوى الرِحَلُ[5]

وقوله:

باللَهِ قُل يا طَلَلُ * * أَهلُكَ ماذا فَعَلوا[6]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٤.

٢/ المرجع السابق: ص٨٥.

٣/ المرجع السابق: ص٩٢.

٤/ المرجع السابق: ص٩٣.

٥/ المرجع السابق: ص٩٦.

٦/ المرجع السابق: ص٩٨.

والميم أتى بها أبو الشيص في خمسة مواضع قوله:

وأَهَنتِني فأَهِنتُ نَفسي جاهِداً ⁎⁎ ما مَن يَهونُ عَليكِ مِمَّن يُكرَمُ[1]

وقوله:

حَبوتُ بِها صَحن قارورَةٍ ⁎⁎ فأَضحَكتُها عَن لِسانِ الضَّرامِ[2]

وقوله:

كَم مِن سَريرة حُبّ قَد خَلوت بها ⁎⁎ وَدمعَةٍ تَملأ القِرطاس والقَلَما[3]

وقوله:

هَذا كِتابٌ فَتىً لَهُ هِمَمٌ ⁎⁎ عَطَفتُ عَليك رَجاءَه رَحمُه[4]

أمَّا النون فقد أتى بها أبو الشيص في أكثر من أربعة مواضع، في قوله:

أَحمُّ الجَناح شَديدُ الصياح ⁎⁎ يُبكّي بِعَينَين لا تَهمُلانِ[5]

وقوله:

عَلى دَليلي وَقائِدي وَيَدي ⁎⁎ ونُورُ وَجهي وَسائِسَ البَدَنِ[6]

وقوله:

كَريمٌ يَغضُّ الطَرف فَضل حَيائهِ ⁎⁎ وَيَدنو وأَطراف الرِماح دَوانِ[7]

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٢.

٢/ المرجع السابق: ص١٠٣.

٣/ المرجع السابق: ص١٠٤.

٤/ المرجع السابق: ص١٥٤.

٥/ المرجع السابق: ص١٠٥.

٦/ المرجع السابق: ص١١١.

٧/ المرجع السابق: ص١١٢.

أمَّا الياءِ والحاءِ فتحاماهما أبو الشيص ولَمْ يأتِ بشيء منهما البتة.

أمَّا الجيم فلم يأتِ بها أبو الشيص خلا مرة واحدة في قوله:

سَرَوا يَخبطونَ اللَيلَ فَوقَ ظُهورِها ** إِلى أَن بَدا قَرنٌ مِنَ الليل أَبلَجُ[1]

أمَّا القاف فقد أتى بها أبو الشيص في ستة مواضع قوله:

يَومٌ لِعَمري تَهمُّ الناسُ أَنفُسُهم ** وَليسَ تَنفَعُ فيهِ رُقيَة الراقي[2]

وقوله:

لَهون عَن الإِخوانِ إِذ سَفَر الضُحى ** وَفي كَبدي مِن حَرِّهِنَّ حَريقُ[3]

وقوله:

بَثَّ الصَنائع في البِلادِ فأَصبَحت ** تُجبى إِلَيهِ مَحامِدُ الآفاقِ[4]

وقوله:

دَعَتني جُفُونُك حَتى عَشِقتُ ** وَما كُنتُ مِن قَبلِها أَعشَقُ[5]

وقوله:

وَعقد نَحر بِنَحرٍ ** وَمَزج ريقٍ بِريقِ[6]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٤٧.

٢/ المرجع السابق: ص٨٦.

٣/ المرجع السابق: ص٨٨.

٤/ المرجع السابق: ص٨٩.

٥/ المرجع السابق: ص٩٠.

٦/ المرجع السابق: ص٩١.

٢ / القوافي النُّفرُ:

وهي الصاد، والزاي، والضاد، والطاء، والهاء الأصلية، والواو[١].

فالضاد أتى بها أبو الشيص في أكثر من موضعين في قوله:

قَطَعوا إِليكَ رياضَ كُلِّ تَنوفَةٍ ** وَمَهامه مُلسِ المتونِ عِراضِ[٢]

وقوله:

كَأَنَّ بِلادَ اللَهِ في ضيقَ خاتم ** عَلَيَّ فَما تَزدادُ طولاً وَلا عَرضاً[٣]

وقوله:

وَلَقَد نزلت برأس صابي القَلب في ** مَيدان كُلّ غواية رَكّاضِ[٤]

أمَّا الزاي فتحاماها أبو الشيص فلم يأتِ بها إلاَّ مرة واحدة في قوله:

يَقولُ والسَوطُ عَلى كَفِّهِ ** قَد حَزَّ في جِلدَتِها حَزّا[٥]

أمَّا الطاء فقد جاء بها أبو الشيص في موضعين اثنين في قوله:

فَثَمَّ تَفديكَ مِنّا كُلّ غانية ** والشَيخُ يَفديكَ والولدان والشمُطُ[٦]

١/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: دكتور عبد الله الطيب، ج١، ص٥٩.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٧٧.

٣/ المرجع السابق: ص٧٩.

٤/ المرجع السابق: ص٨٠.

٥/ المرجع السابق: ص٦٧.

٦/ المرجع السابق: ص٨٢.

وقوله:

تَكامَلَت فيكَ أَوصافٌ خُصِصتَ بها ** فَكلّنا بِك مَسرورٌ وَمغتَبطُ[1]

أمَّا الهاءِ فقد جاء بها أبو الشيص في أكثر من موضعين في قوله:

إِذا أَخَذتَ بِحَبلٍ مِن حَبائِله ** دانَت لَكَ الأَرضُ أَقصاها وأَدناها[2]

وقوله:

أَصبَحتُ أَهواها وأَهوى الرَدى ** لِكُلِّ مَن أَصبَحَ يَهواها[3]

وقوله:

يا حُفرةً طُولُها خَمسٌ إِذا ذُرِعَت ** في خَمسَةٍ قَد دَفنّا عِزّنا فيها[4]

أمَّا الصاد والواو فتحاماهما أبو الشيص ولَمْ يأتِ بشيء منها البتة.

٣/ القوافي الحوشي:

وهي الثاء، والخاء، والذال، والشين، والظاء، والغين، وكلها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلاَّ بالغث[5].

أمَّا أبو الشيص فتحامها جميعها ولَمْ يأتِ منها بشيء.

١/ ديوان أبي الشيص: ص٨٣.

٢/ المرجع السابق: ص١١٤.

٣/ المرجع السابق: ص١١٥.

٤/ المرجع السابق: ص١١٦.

٥/ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: دكتور عبد الله الطيب، ج١، ص٦٣.

حرف الألف والهمزة:

الألف والهمزة أيضاً من الحروف الكثيرة الشيوع وإن كان حرف الهمزة هو الأكثر وروداً عندما تأتي مضمومة، أمَّا الألف فهو غالباً ما يقع للإطلاق وإن وقع روياً للقافية فهو كثير ما يكون ألفاً مقصورة.

ومثال نظمه في الهمزة قوله:

وَدم الشَادن الذَبيح وَما يَحـ ** **ـتلبُ السَاقيانِ مِنها سواءُ[1]

٤ / القوافي المقيدة:

وهي التي يكون فيها الروي ساكناً.

أتي شاعرنا أبو الشيص بالقافية مقيدة في أكثر من موضع وهو قوله:

تَربّعَ في أَطلالِها بَعدَ أَهلِها ** **زَمانٌ يُشِتُّ الشَملَ في صَرفِهِ عجب[2]

وقوله:

تَمجُّ مِن أَقداحِنا قَهوةٌ ** **تَضوع بالِمسكِ وَبالعَنبَر[3]

وقوله:

بلادٌ إِذا زالَ النَهارُ تَقافَزَت ** **بَراغيثُها ما بينَ مثنى وواحد[4]

وهكذا يظهر أن أبو الشيص أتى بقوافيه ذلل وفي النفر تحـــامى حـــرفين الواو، والصاد، والحوشي تحاماها أيضاً.

١/ ديوان أبي الشيص: ص٢٧.

٢/ المرجع السابق: ص٣٤.

٣/ المرجع السابق: ص٦٥.

٤/ المرجع السابق: ص٥٦.

٥/ القوافي المطلقة:

وهي التي يكون فيها الروي متحركاً وهو كثير شائع في الشعر العربي، ويلتزم الشعراء حركته ويراعونها مراعاة تامة لا يحيدون عنها[١].

ومهما يكن من اختلاف بين قوافي الشعر وأنواعها إلاَّ إنها لا تخرج عن حديث ابن طباطبا العلوي: "قوافي الشعر كلها تنقسم على سبعة أقسام: إمَّا أن تكون على فاعل مثل: كاتب وحاسب وضارب، أو على فعال مثل: كتاب وحساب وجواب، أو على مفعل مثل: مكتب ومضرب ومركب، أو على فعيل مثل: حبيب وكئيب وطبيب. أو على فعل مثل: ذهب، وحسب وطرب، أو على فعل مثل: ضرب، وقلب، وقطب. أو على فعيل مثل: كليب، ونصيب وعذيب. على هذا حتى تأتي على الحروف الثمانية والعشرين، فمنها ما يطلق ومنها ما يقيد ثم يضاف كل بناء منها إلى هائها المذكر أو المؤنث، فيقول كاتبه أو كاتبها، أو كتابها، أو مركبة، أو مركبها، أو حبيبه، أو حبيبها، أو ذهبه أو ذهبها أو ضربه أو ضربها، أو كليبه أو كليبها، ويتفق هذا في الرجز. فهذه حدود القوافي... فأدرها على جميع الحروف واختر من بينها أعذبها وأشكلها للمعنى الذي تروم بناء الشعر عليه"[٢].

حركة حرف الروي:

حرف الروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة. إذا كان حرف الروي دالاً تسمى القصيدة دالية القافية، وإذا كان لاماً تسمى لامية القافية، مثلاً قصيدة امرئ القيس:

١/ موسيقى الشعر: دكتور إبراهيم أنيس، ص٢٨٨ وما بعدها.

٢/ عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص١٣٣.

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي ** وَهَل يَعِمَن مَن كانَ في العُصُرِ الخالي

تسمى لامية، لأنَّ حرف الروي فيها لام.

جدول يوضح حركة حرف الروي عند أبي الشيص

حرف الروي	حركة حرف الروي	عدد القصائد	عدد المقطوعات
الهمزة	ضمة	١	–
الباء	ضمة	–	٣
	سكون	١	٢
	فتحة	–	١
	كسرة	–	٢
التاء	كسرة	–	١
	ضمة	–	١
الجيم	ضمة	–	١
الدال	فتحة	–	٢
	كسرة	–	٥
	سكون	–	١
	ضمة	١	–
الراء	فتحة	–	١
	ضمة	–	٤
	كسرة	١	٢
	سكون	–	١
الزاي	فتحة	–	١
السين	كسرة	–	٢

حرف الروي	حركة حرف الروي	عدد القصائد	عدد المقطوعات
	ضمة	١	–
الضاد	كسرة	١	١
	فتحة	–	١
الطاء	ضمة	–	٢
العين	سكون	–	١
الفاء	ضمة	–	١
القاف	كسرة	–	٣
	ضمة	–	٣
الكاف	كسرة	–	١
اللام	كسرة	–	٣
	ضمة	–	٣
الميم	ضمة	–	١
	كسرة	–	١
	فتحة	–	١
النون	كسرة	١	٣
الهاء	فتحة	–	٣

مِمَّا تقدم يتضح أن أكثر قوافي شاعرنا أبو الشيص مكسورة حرف الروي تليها المضمومة، ثم المفتوحة، وأخيراً الساكنة.

والقوافي منها الجيِّد والرديء، وخير القوافي ما لاءم ألفاظ البيت.

عيوب القوافي:

ومن عيوب الشعر :الإقواء، الإكفاء، الإبطاء، السناد، التضمين، والإجازة. وقد تقال الإجارة والرمل والتحريد[1].

والتضمين هو أن يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني والبيت الأول محتاجاً إلى الأخير كقول الشاعر:

كأنَّ القلب مني حين قيل يُغدى ** بليلى العامريةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ** تُعالجهُ وقد عَلِقَ الجناحُ

فلم يتم المعنى في البيت الأول حتى أتمه في البيت الثاني وهو قبيح[2].

وشاعرنا أبو الشيص له نوع من هذا التضمين حيث لا يتم المعنى في البيت الأول إلاَّ بإيراد البيت الثاني أو الثالث وذلك في قوله:

تَخشَعُ شَمسُ النَهارِ طالِعةً ** حينَ تَراه وَيَخشَعُ القَمَرُ
تَعرِفُهُ أَنَّهُ يَفوقُهُما ** بِالحُسنِ في عين مَن لَهُ بَصَرُ[3]

فالبيت الثاني متم للأول حيث قوله: (تخشع، تعرفه).

١/ الوافي في العروض والقوافي: الخطيب التبريزي، ص٢٣٩.

٢/ الصناعتين: ص٣٦.

٣/ ديوان أبي الشيص: ص٥٨.

المبحث الثاني
الموسيقى الداخلية

الأوزان (الشكل):

إن أوزان الشعر العربي الستة عشر التي صاغ فيها الشعراء قصائدهم كانت معروفة وتامة منذ العصر الجاهلي. وأن استمرار الأوزان العربية القديمة حتى يومنا هذا لَمْ يكن مجرد مسألة تقليدية أو قصور من الشعراء عن الابتكار والتجديد، ولكن هذه الأوزان تمثل في الواقع تنوعاً موسيقياً واسع المدى يتيح للشعراء أن ينظموا في دائرته كل عواطفهم وخواطرهم وأفكارهم[1].

وهذا التنوع في موسيقى وإيقاع الشعر العربي الذي قد لا تجد له مثيلاً في أشعار الأمم الأخرى لَمْ يكن يقترن بأي قيد غير القافية الموحدة.

ولكن إذا أدركنا غنى اللُّغة العربية بالألفاظ التي تجري على نسق موسيقي واحد وثقافة الشعراء اللغوية الواسعة، علمنا أن هذا القيد لَمْ يكن عنيفاً بالنسبة للشعراء ولَمْ يكن عقبة أمامهم للتحليق والإفاضة الشعورية، ولكن كلما أخذت اللُّغة العربية في التطور فقدت على مر العصور كثيراً من ألفاظها القديمة التي كان الناس يهجرونها لبعدها عن واقع حياتهم وبيئتهم، وبذلك أخذت تنكمش ذخيرتها من الألفاظ التي تجري على نسق موسيقي واحد. وفي الوقت نفسه ضعفت ثقافة الشعراء اللغوية وخاصة بعد ظهور طبقة من الشعراء المولدين يكونون ثقافتهم اللغوية من لغة الحياة اليومية في الغالب فبدأت القافية عند ذلك تصبح قيداً ثقيلاً يحرم الشعراء من الانطلاق بخيالاتهم وأفكارهم. مِمَّا كان له أثره في بعد الشعراء

١/ اتجاهات الشعر العربي: محمد مصطفى هدارة، ص٥٣٥.

المتأخرين عن الأصالة والابتكار ودورانهم في فلك الشعر القديم[1].

إن التطور الزمني والحضاري لا بد وأن يترك أثراً ولــو ضــئيلاً في أوزان الشعر وقوافيه أو في شكله الموسيقي بصفة عامة. فهل خضع الشعراء العرب لهذا التطور؟ أم غلب عليهم التقليد والاحتذاء؟ إن شيوع الغناء في العصر العباســي واهتمام الطبقات المختلفة به وإقبالها عليه قد أثر في الشعر تأثيراً واضحاً بــدأ في انصراف الشعراء عن الأوزان الطويلة المعقدة وإقبالهم علــى الأوزان الرشــيقة الخفيفة التي تلائم الغناء في المجالس ودور اللهو والرقص والمنتديات[2].

ويرجح (يوهان فك) صحة ما يروى عن بشار من أنه حاول نظم المزدوج والموشح كما أن القرن الثاني ربما شهد نشأة الدوبيت أو الرباعي الذي تتخــذ مصاريعه في القافية ما عدا المصراع الثالث[3].

ويقول إن هذا القالب الذي لعب دوراً عظيماً في وقت متأخر في الشــعر الفارسي يقرن أيضاً ببشار بن برد الذي روى أنه قال هذا الرباعي الخالي فيمــا يظهر من الأعراب في أواخره:

رَبابَـــــةُ رَبَّـــــةُ البَيــــتِ ** تَصُـبُّ الخَـلَّ في الزَيـتِ
لَهـــا عَشـــرُ دَجاجـــاتٍ ** وَديـكٌ حَسَـنُ الصَـوتِ[4]

ويروي (يوهان فك) أن وجود قافية مصرعه في داخل البيــت وقافيــة متحدة في جميع الأبيات في القصيدة يُعد تجديداً في النظام الموســيقي للقصــيدة

١/ اتجاهات الشعر العربي: ص٥٣٦.

٢/ المرجع السابق: ص٥٣٦.

٣/ اتجاهات الشعر العربي: محمد مصطفى هدارة، ص٥٤٠.

٤/ ديوان بشار بن برد: ص٩٨.

العربية في العصر العباسي الأول[1].

وقد نسبت قصيدة في مثل هذا النوع إلى حماد الراوية وهي قوله:

خُلاف الحلول بتلك الطلول ** وسحب الذُّيول بذاك المقام[2]

ونجد لشاعرنا أبو الشيص أبياتاً متفرقة في إحدى قصائده تجري على هذا النسق تقريباً وإن كان تكرار القافية في الشطر الأول فحسب، يقول:

أَحــمُّ الجَنــاح شَـديدُ الصــياح ** يُبكّــي بِعَيــنَين لا تَهمُــلانِ

جَـــرور الإزارِ خَليـــعُ العِـــذار ** علـيَّ لِعَهـدِ الصِـبا بُردَتـانِ[3]

وأيضاً لشاعرنا أبو الشيص في قوله:

السِنُّ ضاحِكَةٌ والكَفُّ مانِحَةٌ ** والنَفس واسِعةٌ والوَجهُ مُنبَسِطُ[4]

وأيضاً نجد له في صفة الهدهد يقول:

سودٍ بَراثِنُهُ ميلٍ ذَوائِبُهُ ** صُفر حَمالِقُه في الحُسنِ مَغموس[5]

بل نجد في ديوان أبو نواس مقطوعة كاملة توجد فيها قـوافٍ داخلية متحدة غير القافية الموحدة الموجودة في أواخر الأبيات وهي التي يقول فيها واصفاً الخمر:

١/ ديوان بشار بن برد: ص٩٧.

٢/ الأغاني: ج٥، ص٢٨.

٣/ ديوان أبي الشيص: ص١٠٨.

٤/ المرجع السابق: ص٨٣.

٥/ المرجع السابق: ص١٥٢.

سـلاف دنَّ كشـمس دَجـت ** كـدمع جفـن كخمـر عَـدْن
طبـيخ شمـس كلـون وَرْس ** ربيـبُ فـرس حليـف سـجن
فاحـت بـريح كـريح شـيح ** يـوم صـبوحٍ وغـيم دَجْـن
يسـقيك سـاق علـى اشـتياق ** إلى تـلاق بمـاء مُـزن [1]

ومِمَّا تقدم إن شاعرنا أبو الشيص كان يستحدث أنواعاً جديدة من الموسيقى الشعرية في إطار الأوزان القديمة خضوعاً لمقتضيات الغناء في ذلك العصر وتأثيره العميق في الأوزان والقوافي على السواء[2].

١/ المرجع السابق: ص٣٣٣.

٢/ اتجاهات الشعر العربي: محمد مصطفى هدارة، ص٥٤٧.

المبحث الثالث
مكانته الشعرية ومدى تأثره وتأثيره

قال ابن المعتز: "وأشعاره ونوادره وملحه كثيرة جداً وقال أيضاً شاعر مطبوع، سريع الخاطر، رقيق اللفظ"[1].

وقال ابن رشيق: "ومن طبقه أبي نواس، العباس بن الأحنف، ومسلم بن الوليد، صريع الغواني، والفضل الرقاش، أبان اللاحقي، وأبو الشيص"[2].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: "وكان أبو الشيص من شعراء عصره"[3].

وذكر ابن كثير: "كان أستاذ الشعراء، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء"[4].

وقال الخطيب البغدادي: "ولقد كان يفضل على شعراء زمانه يقرون له بذلك لا يستنكفون، وكان من أعذب الناس ألفاظاً، وأجودهم كلاماً، وأمكنهم رصفاً، وكان وصافاً للشراب، مدَّاحاً للملوك، ودعبل بن علي ابن عمه، ويقال إنه من استقى وحفظ أشعاره كلها فاحتذى عليها"[5].

وقال الرفيق النديم: "وهذا أبو الشيص نقي الكلام متخير الألفاظ، مدّاح للخلفاء، لاحقٌ للفحول"[6].

وقال ابن دريد: "سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال: قلت فأبي الشيص

١/ طبقات الشعراء: ص٨٧.

٢/ العمدة: ج١، ص١٠١.

٣/ الأغاني: ج١٦، ص٤٠٠.

٤/ المرجع السابق: ص٤٠٠.

٥/ تاريخ بغداد: ج٥، ص٤٠٢.

٦/ قطب السرور: ص١٠٧.

قال: جدّ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التي نفضــت ففيهــا المســتعذب والمستبشع[1]. وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيــه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد، وأشجع وأبي نواس، فخمل وانقطع إلى عقبة ابن الأشعث الخزاعي"[2].

وقال ابن المعتز نقلاً عن أبي خالد العامري: "من أخبرك إنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه. والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء علــى العطشان"[3]. ثم قال: وكان أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك، وكــان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه. وهكذا ذكر ابن المعتز وليس توجــد هــذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد.

حدثني النوفلي فقال: "كنا بواسط ومعنا ابن أبي الشيص، فتجارينا أمــر الشعراء، ففضلنا بعضاً على بعض. فقال ابن أبي الشيص: أنا أشعر الناس، وكان أشعر مني أبي ومن جميع من مضى ومن بقي، فقلت لــه: كــذبت في نفســك خاصةً، فأمَّا أبوك فلعمري إنه كان أشعر أهل زمانه- وكانت بابن أبي الشــيص لوثة، لأن السوداء غلبت عليه- فاختلط واشتاط وخرق ثيابه، ثم زج نفســه في دجلة وكان فينا جماعة يسبحون فأخرجناه وهو لا يعقل لِما به من البرد-وكان يوم شديد البرد- فدثرناه حتى تماسك وقوي قليلاً، فلما أصبح مات"[4].

١/ ديوان أبي نواس: تحقيق ايفالد فاغتر، النشريات الإسلامية، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٥٨م، ج١، ص١٤.

٢/ الأغاني: ج١، ص١٠٤.

٣/ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: تأليف الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباس، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م، ص٨٧.

٤/ طبقات الشعراء: لابن المعتز: ص٣٦٦.

وقال أبو هِفَّان: حدثني دعبل أن امرأةً لقيت أبا الشيص، فقالـــت: يـــا أبا الشيص: عميت بعدي. فقال: قبحك الله، دعوتني باللقب، وعيرتني بالضرر. أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي، قال عن أحمد بن عبيد قـــال: اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس، فقالوا: لينشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت:

إذَا مَـا علـتْ منّـا ذؤابـةُ واحـدٍ ** وإنْ كانَ ذَا حلـمٍ دعتـهُ إلى الجهـلِ

هل العيشُ إلاَّ أنْ تروحَ معَ الصِّبَا ** وتغدُوْ صريعَ الكأسِ والأعينِ النُّجْل[1]

قال: وبهذا البيت لُقب صريع الغواني، لقبه به الرشيد، فقال له مســلم: صدقت. ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأني بك يا أبا علي قد أنشدت:

لا تَبكِ لَيلـى وَلا تَطـرَب إِلى هِنـدِ ** وَاِشرَب عَلى الوَردِ مِن حَمراءَ كَالوَردِ

تَسقيكَ مِن عَينِها خَمراً وَمِن يَدِها ** خَمراً فَمـا لَـكَ مِـن سَكرَينِ مِـن بُـدِّ[2]

فقال له: صدقت. ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا علي، فكـــأني بك تنشد قولك:

أَيـــنَ الشَـــبابُ وَأَيَّـــةً سَـــلَكا ** لا أَيـنَ يُطلَـبُ ضَـلَّ بَـل هَلَكـا

لا تَعجَـبي يـا سَـلمَ مِـن رَجُـلٍ ** ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأسِـهِ فَبَكـى[3]

فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفـــر،

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٥٩.

٢/ المرجع السابق: ص١٦٠.

٣/ المرجع السابق: ص١٦٠.

فكأني بك وقد أنشدت قولك:

لا تُنكري صَدّي وَلا إِعراضي ** لَيسَ المقل عَلى الزمانِ بِراضِ[1]

فقال له: لا. ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته. قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

وَقَفَ الهَوى بي حَيثُ أَنتِ ** فَليسَ لي مُتأَخَّرٌ عَنهُ وَلا مُتَقدَّمُ

أَجِدُ المَلامةَ في هَواكِ لَذيذَةً ** حُبّاً لِذكرِكِ فَليَلُمني اللُوَّمُ[2]

لعريب في هذا الشعر لحنان: ثقيل أول، ورمل. قال: فقال أبو نواس، أحسنت والله وجودت، وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه، فيشتهر ما أقول، ويموت ما قلت.

وسرقة المعاني أكثر لأنها أخفى من الألفاظ. ومنها سرقة المعنى كله، ومنها سرقة البعض. ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص، والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق، كسرقة أبي نواس في هذه القصيدة، فسرق قوله:

وَقَفَ الهَوى بي حَيثُ أَنتِ ** فَليسَ لي مُتأَخَّرٌ عَنهُ وَلا مُتَقدَّمُ[3]

سرقاً خفياً، فقال في الخصيب:

فَما جازَهُ جودٌ وَلا حَلَّ دونَهُ ** وَلَكِن يَسيرُ الجودُ حَيثُ يَسيرُ[4]

فسار بيت أبي نواس، وسقط بيت أبي الشيص. نسخت "فهذا هذا، على أن بيت أبي الشيص أحلى وأطبع، ومع حلاوته جزالة. وقد ذكر عن الحسن أنه قال: ما زلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه" من كتاب

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٦٠.

٢/ المرجع السابق: ص١٦٠.

٣/ المرجع السابق: ص١٦١.

٤/ المرجع السابق: ص١٦١.

جدي لأبي يحيى بن محمد ثوابة بخطه: حدثني الحسن بن سعد قال: حدثني رزين بن علي الخزاعي أخو دعبل قال: كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصاري، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتك المخزية. قال: وما هي؟ قال: الضادية. فما خطر بخلدي قولك:

ليس المقل عن الزمان براض

إلا أخزيتك استحساناً لها، وقال كان الأعشى إذا قال القصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدي لي المخزيات، فتعد قوله:

أغرُّ أروعُ يُستسقى الغمامُ به ** لو قارعَ الناس عن أحسابهم قرعا[1]

وما أشبهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أقول. إنها ليست عندي عقد در مفصل، ولكني أكاثر بغيرها، ثم أنشده قوله:

وَقَفَ الهوى بي حَيثُ أَنتِ ** فَليسَ لي مُتأخَّرٌ عَنهُ وَلا مُتَقدَّمُ[2]

فقال له أبو نواس: قد أردت صرفك عنها، فأبيت أن تخلى عن سلبك، أو تدرك في هربك قال: بل أقول في طلبي، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطاً خسروانياً مذهباً حسناً، فكيف تركت قوله:

في رداءٍ مِنَ الصَفيح ثَقيلٍ ** وَقميصٍ مِنَ الحَديد مُذالِ[3]

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٦٢.

٢/ المرجع السابق: ص١٦٢.

٣/ المرجع السابق: ص١٦٢.

قال تركته كما ترك مختار الدرتين إحداهما بما سبقت في ألحاظه وزين في ناظره. أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني من قال لأبي نواس: من أشعر طبقات المحدثين؟ قال: الذي يقول:

يَطوفُ عَلينا بِها أَحوَرٌ ** يَداهُ مِنَ الكَأسِ مَخضوبَتانِ(١)

والشعر لأبي الشيص. (أخبرني) الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال: حدثني أبي قال: دخل أبو الشيص على أبي دلف وهو يلاعب خادماً له بالشطرنج، فقيل له: يا أبا الشيص، سل هذا الخادم أن يحل أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أعزه الله أحق بمسألته. قال: قد سألته فزعم أنه يخاف العين على صدره فقل فيه شيئاً فقال:

وَشادِنٍ كالبدرِ يَجلو الدُجى ** في الفَرقِ مِنهُ المِسك مَذرورُ
يُحاذِر العَين عَلى صَدرِهِ ** فالجَيبُ عَنه الدَهر مَزرورُ(٢)

فقال أبو دلف: وحياتي لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت، فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن علي العتري قال: حدثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال: تعشق أبو الشيص محمد بن رزين قينةً لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها، وينفق عليها في مترل الرجل، حتى أتلف مالاً كثيراً. فلما كف بصره، وأخفق، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه، ومنعه من الدخول، فجاءني أبو الشيص، وشكا إليّ وجده بالجارية،

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٦٣.

٢/ المرجع السابق: ص١٦٣.

واستخفاف مولاها به، وسألني المضي معه إليه، فمضيت معه، فاستؤذن لنا عليه، فأذن، فدخلت أنا وأبو الشيص، فعاتبته في أمره، وعظمت عليه حقه، وخوفته من لسانه ومن إخوانه، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل في بيته، ويحمل معه نبيذه ونقله، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سمعنا صراخاً شديداً من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ؟ أتراه قد مات لعنه الله.

فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا، فإذا هو قد حسر كميه وبيده سوط، وقال لنا: ادخلا، فدخلنا وإنما حمله على الإذن لنا الفرق مني فدخلنا وعاد الرجل إلى الداخل يضربها فاستمعنا عليه وأطلعنا فإذا هي مشدودة على سلم وهو يضربها أشد ضرب وهي تصرخ، وهو يقول: وأنت أيضاً فاسرقي الخبز. فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك:

يَقولُ والسَوطُ عَلى كَفّهِ ** قَد حَزَّ في جِلدَتِها حَزّا
وَهيَ عَلى السُلّمِ مَشدودة ** وأنت أَيضاً فاسرقي الخُبزا [1]

قال: وجعل أبو الشيص يرددهما، فسمعهما الرجل، فخرج إلينا مبادراً، وقال له: أنشدني البيتين اللذين قلتهما، فدافعه، فحلف أنه لا بد من إنشادهما، فأنشده إياهما، فقال لي: يا أبا الحسن، أنت كنت شفيع هذا، وقد أسعفتك بما تحب، فإن شاع هذان البيتان فضحتني، فقل له يقطع هذا، ولا يسمعهما، وله علي يومان في الجمعة. ففعلت ذلك، ووافقته عليه، فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو العباس بن الفرات قال: كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيل،

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٦٤.

وخلفه غلام له، وشيخ على بغل له هرم، وما فيهم إلا نضو، فأقبل علي عبيد الله بن سليمان فقال: كأهم والله صفة أبي الشيص حيث يقول:

أَكلَ الوَجيفُ لُحومَها وَلحومَهُم ** فأَتوكَ أنقاضاً عَلى أَنقاضِ[1]

وقال أبو الشيص:

جَلا الصبُّحُ أَونيّ الكَرى عَن جفونـهِ ** وَفي صَدرهِ مِثلُ السِهامِ القَواصِـدِ
تَمكَّـنَ مِـن غِرّاتِـهِ الحُـبُّ فـانتَحى ** عَليـهِ بأَيـدٍ أَيّـدات حَواشِـدِ
إِذا خَطَـراتُ الشَـوقِ قَلَّـبنَ قَلبـه ** شَدَدنَ بأَنفاس شداد المَصاعِدِ
يُـذَكِّرهُ خَفـضُ الهَـوى وَنَعيمُـه ** سَـوالِفَ أَيـامٍ وَلـيسَ بـِعائدِ[2]

هذه القصيدة أنشدت عند المأمون فأفرط في استحساها، ثم أنشد في ذلك المجلس لجماعة من حُذَّاق المحدثين، مثل بشار ومسلم بن الوليد ونظرائهما، فلم يهش لشيء من ذلك، وفضل عليهم أبا الشيص. سال المأمون أبا دلف: أي شيء تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟ قال: أي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أمَّا من أنفسهم فأبو الشيص وابنه، ودعبل، وداود بن رزين، وأمَّا من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله[3].

وشاعرنا كان مجيداً في كثرة البكاء على سالف أيامه، ومدح الرشيد، وعقبة بن الأشعث الخزاعي. وفي أول ما اشتهر بالشعر قال قصيدته التي مدح بها عقبة بن جعفر بن محمد:

١/ ديوان أبي الشيص: ص١٦٦؛ الوجيف: السير السريع، من وجف يجف.
٢/ المرجع السابق: ص٥٠؛ آن يؤون أوناً: استراح. والأونيّ: نسبة للاستراحة، وفي المختصر: لذات؛ والأيد: القوي.
٣/ الأغاني: ج١٨، ص٤٤.

ألقى الزمانُ به ندوبَ عضاضِ

وعرض هذه القصيدة على بشار، فقال له بشار: قد بقيت قافية إن علمتها فأنت شاعر، قال: وما هي؟ قال: المقراض، فأنشده:

وجناحِ مقصوص تحيفَ ريشهُ ** ريبُ الزمانِ، تحيفَ المقراضِ

فقال له: أنت أشعر أهل عصرك.

يتضح لنا من خلال هذه الأقوال أن أبا الشيص له مكانة عالية بين الشعراء لأنَّ الأمراء في العصر العباسي كانوا شعراء يعرفون الشعر ويتذوقونه ويوجهون له النقد دون النظر إلى قائله. وشيء آخر يمجد شاعرنا أبو الشيص ويوضح مكانته الشعرية هو معرفته بأشعار كثير من العرب. وأن هناك بعض الأقلام التي تحدثت عنه وفي الدراسات الحديثة ظهرت بعض الكتب التي تعرض له مثل كتاب **(تاريخ آداب اللُّغة العربية)** لجرجي زيدان، و**(اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري)** لمحمد مصطفى هدارة، و**(أعلام الشعر العباسي)** للدكتور حسين الحاج حسن، وبعض المجلات الأدبية مثل مجلة عالم الكتب، ومع أن هذه الدراسة لا تتعدى التعريف بأبي الشيص والصورة الفنية في شعره إلاَّ أن لها دور كبير في تبصير كثير من الدارسين بمكانة هذا الشاعر.

التأثُّر والتأثير:

اللُّغة العربية هي لغة القرآن ومن أراد أن يتقنها لا بد له من إتقان قراءته وتلاوته وشاعرنا أبو الشيص تأثر بآيات القرآن وكان يجلس في مجلس العلماء وخاصة الشعراء الذين تأثر بهم وأثر فيهم واقتبس منهم واقتبسوا منه وفي تأثر شاعرنا بالقرآن الكريم نلحظ ذلك في كثير من قصائده من ذلك قوله:

إِلى عَلَم البأْسِ في كَفِّهِ ** مِنَ الجودِ عَينانِ نَضّاختانِ[1]

فالشاعر يذكرنا في هذا البيت بالآية الكريمة: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[2].

وفي حديثه عن الموت وعلامات موت المحتضر: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[3].

نظر أبو الشيص إلى هذه الآية فقال:

تجدي عَليَّ إِذا ما قيلَ مِن راق ** وَالتفَّتِ الساقُ عِندَ المَوتِ بِالساقِ[4]

وقال:

لَطيفُ الحَشى عبلُ الشَوى مُدمَجُ القَرى

مَريضُ جُفونِ العَينِ في طيِّهِ قبَب[5]

عند قراءة صدر هذا البيت تتراءى لنا الآية الكريمة: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾[6].

كما تأثر شاعرنا بشعر كثير من الشعراء الذين سبقوه والذين عاصروه وكذلك تأثر به كثير من الشعراء الذين أتوا بعده وسوف أقدم بعض النماذج لِمن تأثر بهم وأثر فيهم أو اقتبس منهم.

١/ ديوان أبي الشيص: ص١١٠؛ نضاختان: مثنى نضاخة: فوارة.

٢/ سورة الرحمن: الآية (٦٦).

٣/ سورة القيامة: الآية (٢٩).

٤/ ديوان أبي الشيص: ص٨٦.

٥/ المرجع السابق: ص٣٥.

٦/ سورة المعارج: الآية (١٦).

قال أعرابي من بني أسد في الحكمة:

يقُولون ثَمِّر ما استَطَعت وإنما ** لِوَارِثِه ما ثَمَّرَ المَالَ كاسبُه[1]

وقال أبو الشيص وقد اقتبس هذا البيت من الأعرابي:

يَقولُ الفَتى ثمَّرتُ مالي وإِنَّما ** لِوارثِهِ ما ثَمّر المال كاسِبُهُ[2]

يقول طرفة:

يَشُقُّ حَبابَ الماءِ حَيزومُها بِها ** كَما قَسَمَ التُربَ المُفايلُ بِاليَدِ[3]

وقال شاعرنا أبو الشيص:

يَشقُّ حُبابَ الماءِ حَدُّ جِرانِها ** إِذا ما تَفرَّى عَن مناكِبها الحَبب[4]

اقتبس أبو الشيص هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم فزاد أبو الشيص كلمات في قوله:

فَأَوردها بيضاً ظماءً صُدورُها ** وأَصدَرها بِالريّ أَلوانُها حُمرُ[5]

قال عمرو بن كلثوم بيتاً من الطباق المستحسن:

بِأَنّا نورِدُ الراياتِ بيضاً ** وَنُصدِرُهُنَّ حُمراً قَد رَوينا[6]

١/ لباب الآداب: أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـــ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ص

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٣٢.

٣/ ديوان طرفة بن العبد: شرح يوسف الأعلم، ط١، طبعة مكتبة دار صادر، بيروت، ١٩٦١م، ص٢٠.

٤/ ديوان أبي الشيص: ص٣٨.

٥/ المرجع السابق: ص٦٦.

٦/ المرجع السابق: ص٦٦.

ولو قال عمرو:

من الأسل الظماءَ يردن بيضاً * * ونصدرهن حمراً قد روينا

كان أبدع بيت للعرب في الطباق، لأنه يكون قد طابق بين الإيراد والإصدار، والبياض والحمرة، والظمأ والري، وقد تم هذا لشاعرنا أبو الشيص فقال:

فَأَوردها بيضاً ظماءً صُدورُها * * وأَصدَرها بالريّ أَلوانُها حُمرُ

فصار أخذه مغفوراً بكمال معناه. وقد طابق بين الإيراد والإصدار، والبياض والحمرة، والظمأ والري، فاجتمع لأبي الشيص من التطبيق بين الورود والصدور، والبياض والحمرة، والظمأ والري ما رجح به على عمرو بن كلثوم في قوله: "**بأنا نورد**..." فزاد أبو الشيص بالظمأ والري عليه فاستوفى أقسامه وجوَّد نظامه فهو ولي بما قال مِمَّن لَمْ يتفق له فصار أبو الشيص أولى بما قال.

وأبو الشيص له آراء قد يوافق فيها بعض الشعراء وقد يخالف بعضهم، من ذلك قولهم في الغراب:

ولَمْ يزلْ من تقدم من الشعراء وغيرهم مُجمعين على ذَم الغُراب والتشاؤم به، وكأن اسْمَه مُشتق من الغُربة، فسمَّوه غراب البَيْن، وزعموا أنه إذا صاح في الديار أقوتْ من أهلها. وخالفهم أبو الشِّيص، فقال ما هو أحسن من هذا، وأصدقُ من ذلك كُله، وهو قولُه:

ما فَرَّقَ الأَحْبابَ بَعْـ * * ـد اللّهِ إِلاَّ الإِبلُ[1]

١/ ديوان أبي الشيص: ص٦٦.

وذكر المبرِّد بيتاً آخر هو:

والبائس المسكين ما * * تطوى عليه الرحل

قال ابن قتيبة في عيوان الأخبار (١٤٩/١): وأخذ معناها أبو الشيص من قول المعلوط:

فَكانَ البانُ أَن بانَت سُلَيمى

وَفي الغَرَبِ اِغتِرابُ غَيرُ داني

قال أبو الشيص:

وَفي نَعَباتِ الغُرابِ اغترابٌ

وَفي البانِ بَينٌ بَعيدُ التَدانِ(١)

أنوار الربيع (ص٧٠٧) وفيه أن أبا الشيص أخذها من قول عمـــر بـــن أبي ربيعة ويعني بذلك أبياته التي يقول فيها:

أمــا والراقصـــات بـــذات عـــرقٍ * * وربَّ البيـــت والـــركن العتيـــقِ

وزمــــزم والطــــواف ومشـــــعريهما * * ومشــــتاقٍ يحـــن إلى مشـــوقِ

لقــد دب الهـــوى لـــك في فـــؤادي * * دبيـــب دم الحيـــاة إلى عروقِـــي(٢)

قول أبو الشيص:

أَمّا وَحُرمة كأس * * مِن الُمدام العَتيقِ(٣)

١/ ديوان أبي الشيص: ص٩٥.

٢/ المرجع السابق: ص١٠٥.

٣/ المرجع السابق: ص٩١.

اقتبس أبو الشيص هذا البيت من قول النابغة الذبياني في قصيدته المشهورة في مدح النعمان ويعتذر إليه عمَّا رماه به المنخل اليشكري:

وَخَيِّسِ الجِنَّ إِنّي قَد أَذِنتُ لَهُم ** يَبنونَ تدمُرَ بِـالصُفّاحِ وَالعَمَدِ[1]

في ذكر النبي سليمان عليه السلام.

قال أبو الشيص:

وَمَخيَّسٌ في الدارِ يَندبُ أَهلَهُ ** رَثُّ القِلادة في الترابِ دَسيسُ[2]

وقال:

وَكَم مِن ميتَةٍ قَد مِتُّ فيها ** وَلَكِن كانَ ذاكَ وَما شَعَرتُ[3]

وفي هذا البيت أن أبا تمام سرق معنى هذا البيت بقوله:

أَظَلَّهُ البَينُ حَتّى إِنَّهُ رَجُلٌ ** لَو ماتَ مِن شُغلِهِ بِـالبَينِ ما عَلِما[4]

وقد يأخذ صدر بيت كامل أو عجزه مثل قوله:

أَمسى يَقيكَ بِـنَفسٍ قَد حباك بها

والجودُ بالنَفسِ أَقصى غايةِ الجودِ[5]

١/ ديوان النابغة الذبياني: طبع مكتبة دار صادر، بيروت، ص٤٢؛ خيس تخييساً: ذلَّله أو حبسه.

٢/ ديوان أبي الشيص: ص٧١.

٣/ المرجع السابق: ص٤٦.

٤/ ديوان أبي تمام (ت٢٣١هـ):، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة، ١٩٥١م، دار المعارف، ص١-٣.

٥/ ديوان أبي الشيص: ص٥٥.

وهذا العجز من بيت لصريع الغواني، وتمامه:

تَجودُ بِالنَفسِ إِذ أَنتَ الضَنينُ بِها
وَالجودُ بِالنَفسِ أَقصى غايَةِ الجودِ[1]

والمتنبي أخذ هذا البيت:

أَمُريدَ مِثلِ مُحَمَّدٍ في عَصرِنا ** لا تَبلُنا بِطِلابِ ما لا يُلحَقُ[2]

أخذه من قول أبي الشيص:

لَو تَبتَغي مِثله في النَاسِ كلُّهم ** طَلبتَ ما ليسَ في الدُنيا بموجودِ[3]

وأخذ معنى هذا البيت أبو تمام الطائي بقوله:

وَأَشجَيتُ أَيّامي بِصَبرٍ جَلَونَ لي ** عَواقِبَهُ وَالصَبرُ مِثلُ اِسمِهِ صَبرُ[4]

وقال أبو الشيص:

يُصَبرني قَرمٌ بُراءٌ مِنَ الهَوى ** وَلَلصَّبر تارات أَمرُّ مِن الصبرِ[5]

قول الناس: الصبر مرٌّ، والصبر كاسمه صبر، وقولهم: الصبر محمود العاقبة، وإن كان مراً؛ وقول شاعرنا أبو الشيص: إن للصبر تارات يكون فيها أمر من

١/ يُنظر، ديوان صريع الغواني: ص٦٤.

٢/ ديوان المتنبئ (ت ٣٥٤هـ): لأبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، ١٩٣٦م، القاهرة، ص١-٤.

٣/ ديوان أبي الشيص: ص٥٥.

٤/ الموازنة: لأبي القاسم الحسن الآمدي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٥٩، القاهرة، ص٤٩.

٥/ ديوان أبي الشيص: ص٥٩؛ تارات: جمع تارة.

الصبر، أي: له تارات يكون فيها شديد المرارة، وقول أبي تمام: أشجيت أيـــامي بصبر حلت لي عواقبه، ثم قال: والصبر مرٌّ عواقبه، يريد في الحلق، أي لو جرعته لكان شديد المرارة، لذلك قال: والصبر مثل اسمه صبر.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة، فبحمده يتم التوفيق والسداد، ها أنا ذا أصل بحمد الله إلى خاتمة دراستي عن الصورة الفنية في شعر أبو الشيص الخزاعي. أُلَخِّص فيما يلي ما وصلت إليه من نتائج.

- أبو الشيص الخزاعي شاعر عباسي، عاش في القرن الثاني الهجري وهو العصر العباسي الأول. حيث توسع الأدب العربي عامة والشعر بصفة خاصة. فكانت فترة ازدهار أدبي نتج عن امتزاج العرب بغيرهم من الأمم. ولكن مع هذا لا ننسى الجانب السلبي الذي نتج عن هذا الامتزاج من فساد يتمثل في انتشار المجون والزندقة والمجاهرة بارتكاب المآثم حيث لَمْ يكن هناك رادعٌ لهم من قبل السلطات إلاَّ ما كان من بعض الوعاظ والزهاد الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وكان السبب في ذلك كثرة الجواري وتنوع جنسياتهن ونشر ما حملت من ثقافة بلادهن، فقد عاش أبو الشيص في المجتمع الذي يموج بكل هذا الفساد.
- أبو الشيص شاعر مغمور على الرغم من أنه كان من شعراءِ العصر العباسي وكان شاعراً رقيق الألفاظ على الرغم من ذلك تبدو شخصية ومكانة هذا الشاعر مجهولة في عالم الأدب وغير واضحة وجلية في دولة البيان وحياته غامضة ومغلقة من جميع جوانبها. ذلك لأنَّ المصادر التاريخية والكتب الأدبية القديمة أبت أن تعطينا صورة واضحة لحياته، فجاءت هذه الصورة باهتة المعالم شأنها في ذلك شأن كثير من الشعراء المظلومين الذين أغمط التاريخ حقهم ولَمْ ينصفهم في الشهرة والسمعة فخمل ذكرهم ونسي أدبهم.

- نظم شاعرنا أبو الشيص شعره في كل الأغراض المعروفة التي نظم فيها من سبقوه من الشعراء ولَمْ يترك فناً من فنون الشعر إلاَّ وقال فيه فقد قال في الوصف والغزل والمدح، والرثاء، والفخر، كما عالج شعر الحكمة، والعتاب، وذكر المشيب والشباب، وفقد البصر، والهجاء، وغيرها من الأغراض. وإن كان قد أكثر من بعض هذه الأغراض وأقل من بعض آخر وذلك بحسب الطبع وبحسب المقدرة النظمية لدى الشاعر.

- يشغل غرض الوصف حيزاً كبيراً من شعر أبو الشيص فقد تناول وصف كل الأشياء التي وقعت في نظره حيث وصف الطبيعة والصحراء والراحلة والحيوانات. وأجاد شاعرنا أيضاً صفة الخمر ومجالسها وقد عكس لنا هذا الوصف حب الشاعر للخمر كما عكس لنا حياة اللهو والمجون التي كان الشاعر غارقاً فيها وأكثر شاعرنا من شعر الغزل وكان يميل إلى الغزل الماجن الذي يغلب عليه الطابع الحسي. كذلك تغزل غزلاً عذرياً عفيفاً وقد انعكست ملامحه في التذلل للحبيبة واستشعار الذل في سبيل إرضائها. أمَّا المدح فقد انحصر في نطاق الأمراء فقط وقد نظم الشاعر قصيدته المادحة بالطريقة التقليدية المعروفة بأن ينسب إلى ممدوحه كل صفات المدح المعروفة من كرم وشجاعة... الخ. أمَّا غرض الفخر فقد كان قليلاً في شعره كذلك الرثاء كان قليلاً في شعره. تغنى شاعرنا بأيام الشباب الناضرة كما تحسر على شبابه الغابر. لَمْ يهجُ شاعرنا كثيراً.

تناولنا بالدراسة والتحليل عناصر الصورة الفنية في شعر أبو الشيص من تشبيه واستعارة وكناية. وفي دراستنا لموسيقاه الخارجية المتمثلة في الأوزان

والقوافي كان يؤثر النظم في بحر الطويل ثم الكامل إلى بقية البحور أمَّا بالنسبة للقوافي فقد آثر النظم في قافية الراء ثم تليها الميم ثم الدال وفي الموسيقى الداخلية أيضاً استعمل الأوزان والشكل والقصيدة من ناحية القافية. وفي اللُّغة والأسلوب لغته سهلة عذبة رقيقة وكان في بعض الأحيان يجنح إلى استخدام الغريب من اللُّغة وحوش الألفاظ أمَّا أساليبه سلسة وعذبة فقد كشف لنا البحث عن تأثير أبو الشيص في شعره بشعر من سبقه من الشعراء خاصة عمرو بن كلثوم، وطرفة ابن العبد، وعمرو بن أبي ربيعة حيث أخذ منه أسلوب الحوار والقصة.

وفي ختام هذه الدراسة أتمنى أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة إلى دراستنا لشعرائنا العرب الذين لَمْ ينصفهم التاريخ وظلوا ملقيين في كهوف النسيان، وأتمنى من الله أن أكون قد وُفِّقت في معالجة هذا البحث، وما التوفيق إلاَّ من عند الله.

ثبت المصادر والمراجع

١/ **القرآن الكريم.**

٢/ **الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر:** د. عبد القادر القـــط، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م.

٣/ **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني:** دكتور محمد مصطفى هـــدارة، مطبعة دار المعارف ١١١١٩، كورنيش النيل، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤/ **الأدب العربي وتاريخه في العصر الأموي والعصـــر العباســـي الأول:** إبراهيم رفيدة ومحمد عبد المنعم خفاجة، ١٩٥٠م.

٥/ **الأدب المقارن:** محمد غنيمي هلال، الطبعة الأولى، طبـــع دار النهضـــة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٦/ **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام:** بطرس البستاني، الجزء الأول، دار صادر، هارون عبود، ١٩٧٩م.

٧/ **أسرار البلاغة:** الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الـــرحمن بـــن محمد الجرجاني النحوي، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجة، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ١٣٩٦هـــ-١٩٧٦م.

٨/ **أسس النقد الأدبي الحديث عند العرب:** الدكتور أحمد بدوي، مكتبـــة نهضة مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

٩/ **الأسلوب**: أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الطبعة الثالثة، ٤٥١٤٢، ملتزمة النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع علي باشا.

١٠/ **الأصول الفنية للشعر الجاهلي**: د. أسعد إسماعيل شلبي، مطبعة حدائق القبة، ١٩٧٧م.

١١/ **الأغاني**: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني، المتوفى ٣٥٦هـ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عيد علي مهنا، الطبعة الثانية، الأجزاء ٣، ٥، ٦، ١٣، ١٥، ١٦، طبعة جديدة ومنقحة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٢/ **الأمالي**: للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م،

١٣/ **البلاغة الواضحة- البيان- المعاني- البديع**: علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، لبنان، بدون تاريخ.

١٤/ **البيان والتبيين**: لأبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٥/ **تاريخ الأدب العربي**: الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص.ب ١٠٨٥، بيروت، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

١٦/ **تاريخ بغداد**: لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٧/ **تاريخ الأمم والملوك**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ٣١٠، طبع مطبعة الحسينية، مصر، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

١٨/ **جمهرة أنساب العرب**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ٢٧٩٢٩، مطبعة دار المعارف بمصر، كورنيش النيل، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٩/ **الحياة الأدبية في العصر الجاهلي**: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.

٢٠/ **الحيوان**: لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الجزء الأول، ١٩٠٨م، الجزء السابع، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٢١/ **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر الجرجاني، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، المطبعة العربية.

٢٢/ **ديوان أبو الطيب المتنبئ** (٣٥٤هـ) (١-٤): لأبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة، ١٩٣٦م.

٢٣/ **ديوان أبي الشيص**: الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، المكتب الإسلامي، بيروت، ص.ب ٣٧٧، دمشق، صب ٨٠٠.

٢٤/ **ديوان أبي تمام الطائي** (ت٢٣١هـ) (١-٣): بتحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥١م.

٢٥/ **ديوان أبي نواس** (ت١٩٥هـ): بتحقيق ايفالد فاغتر النشريات الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢٦/ **ديوان المعاني**: لأبي هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٢٧/ **ديوان النابغة الذبياني**: طبعة مكتبة دار صادر، بيروت، تحقيق وشرح كرم البستاني، ١٩٥٣م.

٢٨/ **ديوان بشار بن برد**: تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، (بدون طبعة)، ١٩٩٣م.

٢٩/ **ديوان صريع الغواني**: مسلم بن الوليد، حققه سامي الدهان، الطبعة الثانية، مكتبة دار المعارف بمصر، ٢٠١٤٥.

٣٠/ **ديوان طرفة بن العبد**: شرح يوسف الأعلم، طبعة مكتبة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

٣١/ **الرثاء**: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، بدون تاريخ.

٣٢/ **رسائل الجاحظ**: أبو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٣/ **سر الفصاحة**: ابن سنان الخفاجي الأمير أبو محمد عبد الله محمد بن سعد، شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدي، طبع مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٤/ **سفينة الشعراء:** محمود فاخوري، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.

٣٥/ **سمط اللآلئ:** لأبي عبد البكري (ت٤٨٧هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٩٣٦م.

٣٦/ **شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني:** دكتور رشدي علي حسن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، دار عمار، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣٧/ **شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه:** جورج غريب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، مطبعة غريب، بدون تاريخ طبع.

٣٨/ **الشعر في ظل سيف الدولة:** دكتور درويش الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

٣٩/ **الشعر والشعراء:** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق دكتور محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.

٤٠/ **الصناعتين الكتابة والشعر:** لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، المتوفى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق مفيد قميحة، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

٤١/ **الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي:** جابر أحمد عصفور، طبع دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٤٢/ **الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي:** لعلي إبراهيم أبو زيد، طبع دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٤٣/ **ضحى الإسلام**: أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٤٤/ **الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر**: الألوسي، محمد شكري، طبع المكتبة العربية، بغداد، ١٩٢٢م.

٤٥/ **طبقات الشعراء**: عبد الله بن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٥٦م ذخائر العرب.

٤٦/ **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**: العلوي اليمني، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٤٧/ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**: عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، منشورات دار الكتاب اللبناني.

٤٨/ **العصر العباسي الأول**: تأليف الدكتور شوقي ضيف، ط٤٠٢٠٤، مطبعة دار المعارف بمصر.

٤٩/ **عصر المأمون أحمد فريد رفاعي**: مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

٥٠/ **العقد الفريد**: لشهاب الدين أحمد المعروف بعبد ربه الأندلسي، مطبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٣هـ-١٩٣٥م.

٥١/ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**: لأبي الحسن علي بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٤٦هـ-١٩٤٤م.

٥٢/ **عيار الشعر**: أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٥٣/ **عيون الأخبار**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري، دار إحياء الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٦هـ.

٥٤/ **الغزل في الشعر العربي**: سراج الدين محمد، مطبعة دار الراتب الجامعية، لبنان، بيروت.

٥٥/ **الفهرست**: لأبي الفرج محمد بن إسحق أبي يعقوب النديم (ت٤٣٨هـ)، تحقيق ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة للطبع، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٤٨هـ-١٩٨٥م.

٥٦/ **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٥٧/ **قطب السرور**: للرقيق النديم، تحقيق أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللُّغة العربية، بدمشق.

٥٨/ **لباب الآداب**: أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة،

٥٩/ **اللباب في تهذيب الأنساب**: تأليف عز الدين بن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد، ٤٤٥٦٦.

٦٠/ **لسان العرب** (١-٢): لابن منظور محمد بن مكرم (ت٧٠٠هـ)، دار صادر، بيروت، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠٠هـ.

٦١/ **اللُّغة الشاعرة**: عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.

٦٢/ **المديح**: سامي الدهان، طبع دار المعارف، بدون تاريخ.

٦٣/ **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها**: دكتور عبد الله الطيب، الجزء الأول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٦٤/ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة جريدة دار الأندلس للطباعة، ١٣٠٤هـ-١٩٨٢م.

٦٥/ **المزهر**: لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

٦٦/ **المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي**: محمد صادق حسن عبد الله، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م.

٦٧/ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**: تأليف الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباس، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م.

٦٨/ **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، الطبعة الأخيرة، دار المعارف، الجزء الثاني، بدون تاريخ.

٦٩/ **معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي**: دكتور فؤاد صالح السيد، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٧٠/ **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**: عمر رضا كحالة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٧١/ **المعرب**: لأبي منصور موهوب أحمد بن محمد الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٦١هـ.

٧٢/ **الملل والنحل**: محمد عبد الكريم الشهرستاني، الطبعة الأولى، مطبعة الأزهر، بدون تاريخ.

٧٣/ **الموازنة**: لأبي القاسم الحسن الآمدي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٩م.

٧٤/ **موسيقى الشعر العربي**: شكري محمد عياد، طبع دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٧٥/ **موسيقى الشعر**: دكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

٧٦/ **النجوم الزاهرة**: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأنباكي، طبعة دار الكتب، المصرية، بدون تاريخ.

٧٧/ **النقد المنهجي عند العرب**: دكتور محمد مندور، الطبعة الثانية، دار النهضة، مصر، القاهرة، ١٩٦٩م.

٧٨/ **نقد النثر**: قدامة بن جعفر، د. طه حسين وعبد الحميد العيادي، مطبعة القاهرة، ١٩٣٩م.

٧٩/ **نكت الهميان في نكت العميان**: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٩١٠م، وقد أعادت طبعه بالأوفسيت، مكتبة المثنى، بغداد.

٨٠/ **نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب**: تأليف أبي العباس أحمد القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

٨١/ **الوافي في العروض والقوافي**: أبو بكر زكريا بن يحيى بن علي الخطيب التبريزي، تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٢/ **الوزراء والكتاب**: لأبي عبد الله محمد بن عيدوس الجهشياري، حققه مصطفى السقا، طبعة الحلبي.

٨٣/ **وقعة صفين**: لابن مزاحم، ص٢٤٧.

الدوريات:

١/ **مجلة عالم الكتب**: المؤسسان عبد العزيز الرفاعي، عبد الرحمن المعمر، المجلد السادس، العدد الأول، الناشر دار ثقيف للنشر والتأليف، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب ١٤٠٥هـ- إبريل ١٩٨٥م.

٢/ **دائرة المعارف الإسلامية**: صدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي إبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الفكر، المجلد الثامن.

فهرس المحتويات

الموضوع | صفحة

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الفَصْلُ الرَّابِعُ